الجمهوريــة الجزائريــة الديمـقراطيــة الشعبيــة
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
جامعة محمد خيضر بسكـرة

الماستر
كليــة الآداب واللغـــات
قسم الآداب و اللغة العربية

جدلية الموت والحياة في رواية "بلا وجه أو رائحة"

لـ : علي دغمان

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:
*** نوال مزاش**

إشرا ف الدكتورة:
*** حياة معاش**

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة
امحمد بن لخضر فورار	أستاذ دكتور	رئيسا
حياة معاش	دكتور	مشرفا مقررا
جمال مباركي	دكتور	مناقشا

السنة الجامعـية: 1437هـ / 1438هـ.

2016م / 2017م .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ٢٥ ﴾

(سورة الأعراف: الآيات 24- 25)

الشكر والعرفان

أشكر الله و أحمده على توفيقه لإنجاز هذا العمل، كما أتقدم بالشكر و العرفان للأستاذة المشرفة على النصائح و التوجهات لسير في أغوار هذا الموضوع.

و أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة " صورية جيجخ "، و إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد.

مقدمة

تحتل الرواية في الساحة الأدبية مكانة مرموقة، لما تحمله في طياتها من تفاصيل ووقائع تعالج قضايا الإنسان و المجتمع و الفكر و الثقافة، مما جعل منها مصدرا لإقبال الكثير من القراء والاهتمام بها، على اختلاف مستوياتهم، وقد ارتبطت نشأة الرواية و تطورها بقضايا المجتمع و الإنسان و الكون.

ومن القضايا التي اهتم بها الأدباء و الكتاب و الروائيون قضية الحياة و الموت التي تعد من القضايا التي أثارت جدلا و انشغالا لدى الفلاسفة و العلماء قديمًا وحديثًا، حيث ما يزال الإنسان المعاصر يبحث عن السر الذي يكتنف هذه القضية التي تبقى و لن تزول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذلك اخترت عنوان المذكرة الموسوم بـ: جدلية الموت و الحياة في رواية "بلا وجه أو راحة"، وموضوعها يحوي الكثير من التساؤلات التي سنحاول أن أجيب عنها من خلال هذا العمل، ولعل أهمها الآتي:

- ما المقصود بثنائية الحياة والموت؟.

- وكيف تجلت في الرواية ؟.

- وهل استطاع الكاتب أن يوظفها بالشكل الذي يجعل منها قضية إنسانية وكونية، وكيف أسهمت في تحديد نماذج الشخصيات الموجودة في الرواية.

وقد دفعني إلى اختيار هذا البحث جملة من الأسباب الذاتية و الموضوعية.

- الذاتية: الميل الشخصي لدراسة الرواية.

- الموضوعية: قلة الدراسات التي تناولت هذه القضية بخاصة في مجال الرواية.

اعتمد البحث على المنهج البنيوي لتتبع ثنائيات المتناقضة في الرواية، واستعنت بالمنهج السيميائي في البحث عن الدلالات المختلفة لهذه الثنائيات مستخدمة آلية الوصف و التحليل

لوصف هذه الظاهرة و تحليل القضايا المختلفة الموجودة في الرواية.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة الخطة الآتية:

مدخلُ و فصلان تطبيقيان، وخاتمة و ملحق يضم ملخصا للرواية و التعريف بالكاتب.

تناولت في المدخل مفهوم الحياة والموت لغة واصطلاحا، والحياة والموت في القرآن الكريم وعند الفلاسفة.

أما الفصل الأول: فقد جاء موسوما بعنوان تمظهرات الثنائيات الضدية في الرواية، وصراع ثنائية الحياة و الموت في الرواية.

أما الفصل الثاني: فقد جاء بعنوان تجليات ثنائية الحياة والموت في البنية السردية للرواية.

وتناولت فيها ثنائية الحياة والموت وتجلياتها في الشخصية الروائية، وثنائية الحياة والموت وعلاقتها بالزمان و المكان في الرواية.

و جاءت الخاتمة لترصد أهم النتائج.

ومن المصادر والمراجع التي اعتمدتها في إنجاز هذا البحث إلى جانب المدونة الكتب الآتية:

1- كتاب البقاء و الفناء في شعر أبي العتاهية لـ:"سعدية أحمد مصطفى".

2- الحياة و الموت لـ : "محمد متولي الشعراوي".

3- الإحياء و الإماتة في القرآن الكريم لـ : "عبد المجيد بن محمد علي الغيلي".

4- الحياة البرزخية من الموت إلى البعث لـ : "محمد الطاهر خليفة".

وقد جابهتني مجموعة من الصعوبات لعل أهمها قلة الدراسات حول هذا الموضوع في جنس الرواية.

وفي الأخير أحمد الله عزوجل و أشكره على توفيقه لانجاز هذا العمل، وأثني بالشكر والعرفان للأستاذة المشرفة التي أتاحت لي فرصة البحث في هذا الموضوع، وكذا إلى كل من ساعدني ولو بكلمة طيبة.

المدخـــل

ثنائية الحياة و الموت

أولا: مفهوم الحياة و الموت.

1/ مفهوم الحياة

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

2/ مفهوم الموت

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

ثانيا: الحياة والموت في القرآن الكريم

ثالثا: الحياة والموت في الفكر الفلسفي

تعدّ الحياة و الموت من أبرز الظواهر التي شغلت فكر الإنسان قديمًا وحديثًا وأثارت جدالاً كبيرًا لديه لذا كان دومًا يتساءل عن وسيلة مناسبة للهروب من الموت والبقاء على قيد الحياة.

وعليه يتبادر إلى أذهاننا بعض الإشكالات منها:

ما مفهوم الحياة و الموت ؟ و ما هي حقيقتهما؟

أولا/ مفهوم الحياة والموت:

1/ مفهوم الحياة:

أ/ لغة:

وجاءت الحياة في الكثير من المعاجم اللغوية وهي كلمة مأخوذة من الجذر اللغوي << وحَيَ يحيا، ويحي فهو حَيُ، وللجميع حيوا، بالتشديد. والحي من كل شي ء: نقيض الميت و الجمع أحياء والحَيُ: كل متكلم ناطق، والحَيُ من النبات، وهي نقيض الموت>>.[1]

وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾.[2]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (حياة)، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط3، مج4، 1994 م، ص 211– 212.

[2] سورة الأنبياء، الآية 30.

أي << خلق الله كل ذي حياة من الماء. ولفظ شيء بإضافته للماء، من العالم المخصوص، فقد خرج بذلك منه الملائكة والجن وكل ذي غير حياة نامية >>.[1]

فالله سبحانه وتعالى خلق نعمة الماء و جعل منه كل شيء حي من إنسان وحيوان ونبات.

ب / اصطلاحا:

وردت بعض التعريفات لمصطلح الحياة أبرزها:

هو<< ثبات الشَّيء على الحالة الأولى، و يضاده الفناء، والباقي ضربان : باقٍ بنفسه لا إلى مدة، وهو الباري تقدس ولا يجوز عليه الفناء ، وباقٍ بغيره إلى مدَّة وهو ما عداه الذي يصُّح عليه الفناء، والباقي بالله ضربان: باقٍ بشخصهِ إلى أن يشاء الله أَن يفنيه كبقاء الأجرام السماوية وباقٍ بنوعهِ وجنسهِ دون شخصهِ وجرمهِ كالإنسان والحيوان وكذا في الآخرة باقٍ بشخصهِ لأهل الجنة، فإنَّهم يتقون مؤيدًا لا إلى مدة، وباقٍ بنوعهِ وجنسهِ >>.[2]

انطلاقا مما سبق يتضح لنا أن " الحياة " هي بقاء الشيء على وضعيته الأولى، كما أنها تحمل دلالة على الحركة والاستمرارية، و كلمة " الحياة " ضد مصطلح الموت و البقاء (الحياة) جاءت مشتقة من اسم من أسماء الله الحسنى، التي هي (الباقي) الذي لا يموت.

---

[1] أمير عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1 ج 4، 1420 هـ- 2000م، ص 2205.

[2] سعدية أحمد مصطفى، البقاء والفناء في شعر أبي العتاهية، دار الحامد للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010م ، ص 19، نقلا عن ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، التوقيت على مهمات التعاريف، تحقيق ، محمد رضوان الدابة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1410 هـ ، ص 139.

2/ مفهوم الموت:

أ/ لغة:

وردت معاني متعددة لمصطلح الموت نذكر منها ما ورد في "معجم تاج العروس":

إنّ التعريف اللغوي لكلمة "موت" مشتقة من الجذر<< مَاتَ، يَمُوتُ، مَوْتًا ومَاتَ يَمَاتُ ومَاتَ يمَيتُ، ويقول " الأزهري" عن " الليث " :الَمْوُتَ خَلْقُ من خلق الله تعالى. ويقول غيره :المْوتُ و الموَتَانُ ضَّد الحياة ،والمْواتُ،بالضم :الَموَتُ، مْاتُ يَمُوْتَ مْوتًا و يَمات، الأخيرة طائيَّة >>.[1]

و جاء كذلك في "لسان العرب " "لابن منظور": << ورَجَل مّيتُ ومَيْتُ وقيل:المَيْتُ الذي مات، و المَيْتُ و المائِتُ: الذي لُم يْمتَ بْعُد>>.[2]

انطلاقا من هذا التعريف اللغوي لكلمة " الموت" نستنتج أن لفظة موت مشتقة من الجذر اللغوي "مَاتَ" و هي تحمل دلالة على تلاشي و الزوال.

---

[1] مرتضى الزبيري، تاج العروس في جواهر القاموس(باب التاء)، دارسة وتحقيق علي الرشدي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3 ، مج3 ،1994م، ص135.

[2] ابن منظور، لسان العرب مادة (موت)، ط6، مج2 ،1417 هـ- 1997م، ص 90-91.

2/ اصطلاحا:

تعددت التعريفات الاصطلاحية للموت، كل حسب منظوره نذكر مايلي:

يعرف الموت بأنه: << توقف معالم الحياة في الجسم الطبيعي، من حركة و نمو وحس وتنفس و قدرة على التكاثر والتغذي، وهو نهاية مرحلة تنفصل عندها ثنائية الوجود الإنساني(الجسد و الروح) ليعود كل عنصر إلى عالمه الأزلي >> .[1]

يتضح لنا من خلال هذا التعريف اصطلاحي أن لفظة "موت" تعني تلاشي كل معالم الوجود.

وهذا ما يعني أنّ كل إنسان على وجه الأرض مصيره الموت و الفناء مهما طال عمره فلا بد من موته و اندثاره.

ومنه أيضا فإن لفظة "الموت" قد وردت في قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.[2]

يؤكد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن نهاية كل الموجودات هو الفناء والزوال.

---

[1] سناء سلمان عبد الجبار، " ثنائية الحياة و الموت عند نازك الملائكة" ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة تكريت، العدد5 ، مج 14، 2007 م ، ص 173.

[2] سورة آل عمران، الآية 185.

ثانيا/ الحياة و الموت في القرآن الكريم:

اهتمت الدراسات القرآنية والفقهية بقضية فناء الإنسان و انتقاله إلى دار البقاء فالقرآن الكريم أولى ثنائية (الحياة والموت) أهمية كبيرة وهذا ما يتجلى لنا عبر الكثير من الآيات الكريمة التي وردت من أجل تذكير الناس بحتمية الفناء و ضرورة الابتعاد عن ملذات الدنيا.

ولذلك فالموت << وهو فناء الإنسان في هذه الدنيا وانتقاله إلى دار البقاء، وزوال النعم التي يتمتع بها في الدنيا من المال وبنين>>.[1]

نستشّف من خلال هذا السياق أنّ موت الإنسان فيه زوال لكل ملذات وشهوات الحياة وفيه تنتقل روحه إلى دار الآخرة.

وهذا ما جاء في قوله تعالى:

﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾.[2]

من خلال هذه الآية الكريمة يتجلى لنا أن الله سبحانه وتعالى يوجه نصائح وتوجيهات لعباده الصالحين، من أجل الخوف و الخشية منه و الاستقامة للفوز بالحياة الآخرة.

وهذا ما يؤكّد لنا أن:

<< الحياة الدنيا بزيفها ولذاتها إلا المتاع الخادع الذي يغتر به الخاسرون العاقلون فيذهلون عن منهج الله >>.[3]

---

[1] سعدية أحمد مصطفى، البقاء والفناء في شعر أبي العتاهية، ص 30.

[2] سورة الحديد ، الآية 20.

[3] أمير عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم ، ج 6 ، ص3295.

انطلاقًا مّما سبق يتضح لنا أن الدنيا ما هي إلا متاع زائل ومصير الإنسان فيها هو الفناء.

ويذكر الله عزوجل في سورة " الرحمن " فناء كل ما هو موجود من أديم الأرض فيقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾.[1]

فالزوال << هي سمة كّل كائن حي وهذا الأمر لا يحتمل الظن >> ، حيث يؤكد الله عزوجل:

<< أن كل من على الأرض من الأحياء صائر إلى الموت و الفناء>>.[2]

يكشف لنا هذا السياق أن من صفات الله تعالى الإحياء و الإماتة وهو ما يصّرح به في آياته و يّنبه فيها إلى أن كل من على الأرض سائر إلى الموت و الفناء من إنس وجن وملائكة و بشر.

وفي آية أخرى يقول الحق عزوجل:

﴿ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.[3]

---

[1] سورة الرحمان، الآية 26 – 27.

[2] أمير عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم ، ج 6، ص 3260 .

[3] سورة يس ، الآية 11 – 13.

في هذه الآية الكريمة تتضح لنا حقيقة لابّد من الإنسان أن يعرفها و أن لا يتجاهلها ألا وهي خلق الله تعالى (للحياة والموت) ومنحه حق الموت لسائر مخلوقاته، و هذا إن دل على شيء فهو يّدل على مدى عظمة الله تعالى الذي بيده ملكوت كل شيء.

لذلك جاءت كل هذه << المعاني العظيمة المكررة في الكتاب الحكيم التي يؤكد الله فيها على أحياء الموتى، و بعثهم من قبورهم ليلاقوا الحساب يوم القيامة >>.[1]

يبّين لنا هذا التفسير أنّ الله تعالى قادر على إحياء الموتى وبعثهم من جديد للحساب و العقاب وهذا أمر لا ريب فيه.

لقد تجلت ثنائية (الحياة /الموت) بأشكال مختلفة و سياقات متنوعة و متعددة في القرآن الكريم، لذلك جاءت كل من هاتين المرحلتين: << الموت أو الحياة لها قوانينها التي تحكمها ونحن لا نعرف من هذه القوانين إلا ما اخبرنا به الله تبارك وتعالى>>.[2]

من خلال هذا السياق يتّضح لنا أن الله سبحانه وتعالى خلق ثنائية (الحياة / الموت) وجعل لها قوانين وضوابط وحدود يقف عندها الإنسان ولا يمكن له تجاوزها وتخطّيها و علىيه احترامها و التقيد بها.

وفي هذا السياق يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلاً ۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ﴾.[3]

---

[1] أمير عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم ،ج 4، ص 2809.

[2] محمد متولى الشعراوي، الحياة والموت ، مكتبة الشعراوي الإسلامية ، د ط، د ت ، ص12.

[3] سورة الملك ، الآية 2.

أي أن كل من على الأرض من مخلوقات سائر إلى الموت والفناء، و أنّ الله تعالى بعظمته وكبريائه و مجده << بيده كل شي ء و في قبضته وسلطانه ملكوت السموات والأرض>>.[1]

تكشف لنا الآية السابقة عن مدى عظمة الله وجلاله و سلطانه في خلق السموات والأرض وخلقه الحياة والموت و اختبار الناس بأعمالهم الصالحة.

وقد شغلت ثنائية (الحياة /الموت) بال الإنسان و جعلته يسعى لمعرفة حقيقتها واكتشاف حيثياتها للوصول إلى خباياها و كشف أسرارها.

<< فالموت والحياة هاتان الظاهرتان كونيتان عظ يهلن في غاية العجب، وهما ظاهرتا الموت ويعنيه من حقائق مثيرة من الركود و الجمود والهمود. ثم ظاهرة الحياة وما يعنيه من الحركة والسعي والجد، كما أن الله تعالى خلق الناس للامتحان والمساءلة ليستبين أيهم خيرٌ عملاً >>.[2]

يظهر هذا السياق أن الحياة و الموت ظاهرتان كونيتان ت ثيران الدهشة و الحيرة والتعجب في نفس الإنسان لما لهما من دلالات مختلفة و مستفزة، فالحياة تمثل الحركة بما فيها من عبادة و عمل و سعي و جّد و اجتهاد، و الموت بما فيه من جمود و سكينة ورهبة فظاهرة: << الموت والحياة يقع على النفس، وذلك بإمساكها من الجسم إمساكا تاما وإرسالها إليه >>. [3]

---

[1] أمير عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم ، ج 6، ص 3399.

[2] محمد متولى الشعراوي، الحياة والموت ، ص12.

[3] عبد المجيد بن محمد بن علي الغيلي، الإحياء و الإماتة ، في القرآن الكريم (دراسة معجمية موضوعية)، موقع رحى الحرف، د ط، 2015م، ص173.

هذا ما يعني أنّ الموت يقع على النفس، أي انقطاع الروح عن البدن و مفارقته وانتقالها إلى الحياة في دار الآخرة.

وفي هذا الصدد يقول سبحانه وتعالى:

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾.[1]

يعني أن الله تعالى يحيي الأرواح و يميتها،فالإنسان عندما ينام ينتقل إلى العالم آخر،لا يخضع فيه للقوانين و الضوابط التي تحكمه في حالة اليقظة، فهو خارج نطاق الدنيا ولا يخضع للعقل و المنطق وبأمر الله سبحانه وتعالى تقبض الروح.

أي : << يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتلك الوفاة الكبرى ويتوفى الأنفس حين تنام وتشبيها للنائمين بالموتى ، والمراد بالأنفس الأرواح وقيل : النفس غير الروح ، فالروح لها تدبير عالم الحياة وأما النفس فلها تدبير عالم الإحساس>>. [2]

من خلال ما سبق نتوصل إلى أن ثنائية (الحياة / الموت) من أبرز الثنائيات التي أثارت فكر الإنسان وجعلته يستقصي عن حقيقة خلق الله تعالى الحياة والموت، والبعث والحساب ويوم الآخرة، وعليه فالموت حقيقة حتمية لامناص ولا مفّر منها.

وهو<< ليس بعدم محض، ولا فناء صرف وأما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار أي من دار التكليف والعمل إلى دار البرزخ والسؤال>>.[3]

---

[1] سورة الزمر، الآية 43.

[2] أمير عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم ، ج 5، ص 2919.

[3] محمد عبد الطاهر خليفة ، الحياة البرزخية من الموت إلى البعث ، دار الاعتصام ، د ط، د ت ، ص37.

يوضّح لنا العلماء دلالة الموت من انقطاع النفس عن الجسم و مفارقة الروح الدنيا وانتقالها من العالم الدنيوي إلى الحياة الآخرة.

و تظّهر الآيات القرآنية مجموعة من الحقائق المتعلقة بالموت و الحياة كالآتي:

1 -الموت والحياة شيئان مخلوقان.

2 -الموت والحياة يقعان على النفس والجسم.

3 -الكائنات الحية صفان : حي لغيره وحي لذاته.

4 -الماء سبب لحياة والأصل الأول في كل شيء حي.[1]

من خلال ما سبق يتّضح لنا أن الحياة و الموت شيئان بارزان خلقهما الله تعالى في هذه الدنيا، ليختبر بها الإنسان في هذه الحياة ويرى أعماله، وهذا الاختبار ينتهي بموته وفنائه.

[1] عبد المجيد بن محمد بن الغيلي ، الإحياء و الإماتة في القران الكريم (دراسة معجمية موضوعية) ، ص 139.

ثالثا/ الحياة والموت في الفكر الفلسفي:

لقد أثار الموت فكر الفلاسفة والعلماء باعتباره حقيقة مطلقة لا شك فيها و لامناص منها ولذلك<< فالموت عندهم هو عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيًا، وقيل: الموت نهاية الحياة، وضده الحياة. والتقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملكة>>.[1]

نستنتج مّما سبق أنّ لفظة الموت في الفلسفة جاءت للّدلالة على عدم الحياة، كما أن كلمة حياة جاءت مقابلة لكلمة الموت.

وتعّد ثنائية (الحياة /الموت) من بين القضايا التي بحث فيها الفلاسفة والأدباء والشعراء الذين تكلموا عن تفاصيلها و أوردوا آراءهم، ومن هؤلاء الفلاسفة الذين تحدثوا عن الحياة والموت نجد:

1/ بليز باسكال*: " Blaise pascal "

يذهب "باسكال" إلى أن الموت راحة وخير للإنسان إذ يأمل في حياة أخرى بعد الموت وهذا ما يتجلى من خلال قوله:

<< ليس هناك خير من الحياة إلا أمل في حياة أخرى، ولا يكون المرء سعيدا إلا بقدر اقترابه من هذا الأمل وكما انه لن تقع ضروب حظ لأولئك الذين يمتلكون اليقين القوي في الأبدية فلذلك ليس هناك سعادة لأولئك الذين لا يميلون لذلك >>.[2]

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، ، م ج 2،1982 م ، ص 440.

* بليز باسكال ، (1623- 1662) فيزيائي و رياضي فيلسوف فرنسي بتجاربه على السوائل في مجال الفيزياء.

[2] httpr://www-arageek.com/2014/08/24/philosophy-about-death.htm12/11/2016.18:06

من خلال هذه المقولة نتوصل إلى أن رؤية باسكال تشاؤمية في الانعزال عن العالم وأن الخير في هذه الحياة هو الأمل في حياة أخرى، حياة بديلة ثانية بعد الموت، وهذه الحياة تتميز بالديمومة والأبدية والخلود.

كما نجد أيضا من أراء الفلاسفة التي تناولت قضية الحياة والموت.

2/ سقراط*: " socrates "

الذي يرى أن الموت يكون خيرًا من الحياة ،وهو في رأيه مخالف لرأيه باسكال حيث يقول: << لكنني أشير أيها السادة إلى أن الصعوبة ليست جمة في الهرب من الموت، لكن الصعوبة الحقيقية هي في تجنب ارتكاب الخطأ>>.[1]

فسقراط يرى أن لا مفر من الموت و ارتكاب الخطأ، والصعوبة الحقيقية حسب رأيه تكمن في كيفية تجنب الوقوع في الخطأ وارتكاب المعاصي.

* سقراط ، فليسوف يوناني كلاسيكي يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الغربية.

[1] حياة هروال، دلائلية الموت في الخطاب الشعر الجزائري المعاصر في فترة التحو لات1988_ 2000م، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي القديم، إشراف الدكتورة جميلة قيسمون ، شعبة الأدب الجزائري المعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2008 م – 2009 م، ص 22 .

3/هيقل*: " Hegel "

يري " هيقل " أن الموت هو تصالح الروح مع ذاتها وهذا يبدو جليًا من خلال مقولته :

<< إن الموت هو الحب ذاته، ففي الموت يتكشف الحب المطلق إنه وحدة ما هو لإلهي مع ما هو إنساني، وإن الله متوحد مع ذاته في الإنسان، في المتناهي عبر الموت صالح الله العالم ويصالح ذاته للأبد مع ذاته >>.[1]

في هذه المقولة يتضح لنا أن الموت يكشف عن مدى حب الإنسان لذاته و حلول الذات مع الذات الإلهية و تماهي مع الروح المطلق.

5/ أينشتاين*: " Eihstein "

فيما يتعلق بثنائية الحياة والموت أيضا نجد بعض العلماء الذين يرون أن << الموت ليس فناء بل مجرد ميلاد ثان للإنسان في عالم مجرد من المادة >>.[2]

إن نظرية الحياة و الموت جعلت الإنسان يتأمل الظواهر الكونية و يتصور أشياء غير معقولة، وهذا ما يتجلى في رأي " أينشتاين " الذي اعتبر موت الإنسان هو ولادة جديدة في عالم مجرد منفصل عن الواقع ، والموت عنده هو بعث متجدد.

---

* هيقل ، (1770 – 1831) أهم مؤسسي نظرية المثالية الألمانية في الفلسفة.

(1) httpr://www –arageek.com/2014/08/24/philosophy–about–death.htm 12/11/2016 ,18:06

* أينشتاين ، (1879 – 1955) عالم فيزياء ألماني واضع النظرية النسبية الخاصة و النظرية العامة.

(2) السيد حسن نجيب، الروح بين العلم و العقيدة الحياة بعد الموت، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان، ط3، 2005 م، ص 131.

4/ جون بول سارتر *:" jeanpaul charles Aymard sartre "

للوجود في فكر" سارتر " صورتان :عالم غير متشكل وغير متعلق بالواقع الإنساني.
ويسمى "سارتر"الصورة الأولى << الوجود في ذاته أما الثانية فالوجود لذاته >>.[1]

يقصد سارتر بالوجود هنا وجود لذاته (نفسه) و ليس شيئا خارج الوعي (الفكر)، أما الوجود في ذاته فيقصد به هو الوجود المتوحد مع الذات والراحة من الوجود العبثي.

نخلص مّما سبق أن الموت هو مصير كل حّي على وجه الأرض، وهو من أبرز أسرار الوجود البشري، ويشترك فيه الناس جميعًا على اختلاف أعرافهم وأشكالهم وألوانهم ومعتقداتهم الفكرية والدينية، فالموت لا يفّرق بين صغيرًا كان أو كبيرًا،وأن الحياة هبة تأتي من الله وتعود إليه، وبذلك تكون هذه ثنائية (الحياة / الموت) من أبرز الثنائيات التي شغلت عقل الإنسان منذ آلاف السنين، و لم يستطع أن يعرف السّر الذي يَكْمن من ورائها ومعرفة حقيقتها لأنها من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

*جون بول سارتر، (1905 – 1980) هو فيلسوف و روائي و كاتب مسرحي و ناشط سياسي فرنسي.

[1] ت.أ. ساخاروفا، تر:(أحمد برقاوي) ، من فلسفة الوجود إلى البنيوية، دار المسيرة ، بيروت ، لبنان، ط 1، 1984م ص31.

الفصـــــل الأول

تمظهرات الثنائيات الضدية في رواية "بلا وجه أو رائحة".

أولا/ الثنائيات الضدية

1/ الحياة والموت

2/ السلم والحرب

3/ البيع والشراء

ثانيا/ صراع ثنائية (الحياة والموت) في رواية

1/ صراع الإنسان مع الإنسان

2/ صراع الإنسان مع الأوضاع(الاجتماعية و السياسية)

شّكلت ثنائية الحياة والموت لدى الفلاسفة و العلماء مسألة تحتاج للبحث في حقيقتها، و معرفة حيثياتها و فهم تفاصيلها، و الغوص في أعماقها و اكتشاف تجلياتها وانعكاساتها المتعددة و المتنوعة في الرواية.

أولا/ الثنائيات الضدية:

1/- دلالة الحياة والموت:

تعّد ثنائية (الحياة /الموت) من أبرز الثنائيات التي شغلت التفكير الإنسان قديمًا وحديثًا إذ << تعبر مفردتا الحياة والموت عن معنى مشترك، أو أنهما نمطان لحالة واحدة بمعنى إن كل واحدة منها لا يكتمل معناها إلا بذكر الثانية فكل منهما بها حاجة إلى الأخرى وهما متساويتان اصطلاحا متضادتان في المعنى>>.[1]

يتضح مما سبق أن ثنائية الحياة و الموت من بين الثنائيات التي تحمل دلالة متعددة سواءً من ناحية المعنى أو التركيب.

ولقد وردت كلمة " الموت " في الرواية، وهي تحمل في طياتها الكثير من المعاني التي تدل على الحزن والأسى، وتبعث في نفس الإنسان نوعًا من الخوف والرهبة.

وهذا ما يتّضح في الكثير من مقاطع في الرواية، ونأخذ على سبيل المثال قول السارد:<< فالرجل عاشق في صمت، يموت ويحيا بإشارة من بلا سيديا الرومانية >> .[2]

---

[1] نضال أحمد باقر الزبيدي، الثنائيات المتضادة في الشعر مخضرمي الجاهلية و الإسلام ، دار الينابيع طباعة ونشر وتوزيع ، ط 1، 2010م،ص 21.

[2] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، دار علي بن زيد للطباعة والنشر حي المجاهدين ، بسكرة ، الجزائر، ط1 2014م ، ص 63.

في هذا المقطع وظف السارد ثنائية (الحياة /الموت) وهو يعبر من خلالها عن الحالة التي يعيشها الرجل العاشق ، وهذه << الثنائيات فرضت على المتلقي نوعا من اليقظة والانتباه لما سيؤول إليه الحال فيما بعد>>.[1]

الروائي يصور لنا الصراع النفسي الذي يعيشه الرجل في الحياة الواقعية الاجتماعية بكل ما تحمله من معاني الدالة على الفرح و الحزن.

فالعاشق في هذا المقطع الروائي يعيش حالتين (الحياة والموت)، وهذا ما جعله في صراع داخلي مع نفسه. << فالموت حقيقة واقعة لا ريب فيها، وقد أكَد الإسلام أن الموت ليس نهاية المطاف، إذ يبعث الإنسان إلى الحياة الأبدية، فإن كان من الصالحين كان من أهل النعيم >>.[2]

يتضح لنا من خلال هذا السياق أن الموت حقيقة واقعية لا شك فيها.

فالموت يشكل هاجسًا يؤرق الإنسان ويجعله يعيش مضطربًا في حياته، وذلك بمجرد أن يفكر بأنه سيموت يصبح في حالة نفسية سيئة مليئة بالخوف، وهذا ما يجعل الموت ذا دلالة سلبية عكس الحياة التي تدل على الإيجابية.

فالروائي من خلال حديثه عن الحياة والموت أحدث نوعًا من التفريق بين هذه الثنائية وذلك من خلال إعطاء صورة سلبية للموت وصورة إيجابية للحياة، وبهذا يجعل العلاقة بينهما علاقة تضاد.

---

[1] نضال أحمد باقر الزبيدي، الثنائيات المتضادة في الشعر مخضرمي الجاهلية و الإسلام، ص 123 – 124.

[2] محمود الحلحولي ،" الموت والحياة في شعر الخوارج في العصر الأموي قطري بن الفجاءة نموذجا"، مجلة جامعة الخليل للبحوث الجامعة الهاشمية، العدد 1، مج 6 ، 2011 م، ص 91.

2/- دلالة الحرب والسلم:

تعّد كلمة " الحرب" من بين الكلمات الدالة على القهر والظلم والاستبداد والاضطهاد في حّين أن كلمة"السلم" تّدل على الأمن والسلام والاستقرار، وتؤول إلى الحياة.

وهذه الكلمة (السلم) نجد مقابلها (الحرب) وتوظيف السارد لثنائية(السلم /الحرب) للدلّالة على الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر، حيث يقول في هذا الشأن: << وهتف لهم الجميع بنشوة قسما، فيما يبقى الشعب ميتا في الحالتين: في الحرب كما في السلم في الحلم كما في الواقع...>>.[1]

وقوله: << فيما يبقى الشعب ميتا في الحرب والسلم >>.[2]

من خلال هذا المقطع يبّين لنا السارد ثنائية السلم والحرب، وربط هذه الثنائية بالموت فهو يرى أن الموت في الجزائر سائد في الحرب أو في السلم ، وهذا يعني تساوي الحياة والموت في رؤية الروائي.

- و للحرب و السلم دلالات و إيحاءات مختلفة نوضحها عبر الخطّاطة الآتية:

السلم

الأمن- الأمان - الطمأنينة - الاستقرار.

المحبة - المساواة - السلام.

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص 104.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

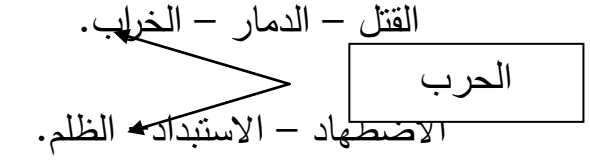

-وسنوضح عبر الخطاطة الآتية إيحاءات و دلالات (الحياة/ الموت) :

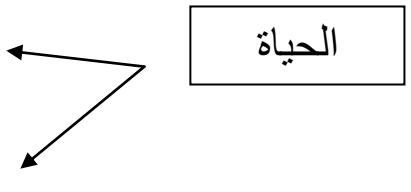

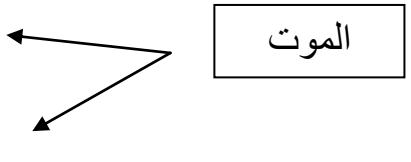

رغم ما تحمله كلمة السلم من معاني إيجابية تدّل على الأمن والاستقرار والوئام، إلا أنها في الرواية لم يوظفها السارد للدلالة على إيجابية إنما وظفها للدلّالة على سلبية.

كما ونجده وظف هذه الثنائية في مقطع آخر إذ يقول: << في الحرب ضد المستعمرين، كما في السلم ضد استبداد >>.[1]

فدلالة لفظة (الحرب) دلالة سلبية لأنها تحمل معنى (الخراب والدمار)، أما لفظة (السلم) فدلت على الأمان و الطمأنينة، وهي تدل على الإيجابية.

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص95.

3/- دلالة البيع والشراء:

وقد أظهرت الرواية ثنائيات متضادة أخرى تتمثل في (البيع /الشراء)، وتحمل كل من هذه الثنائية دلالة سلبية في مضمونها، وهذا يتضح من خلال توظيف الكاتب لهذه الثنائية التي يعّبر من خلالها عن بيع أبناء الوطن لوطنهم الذي يشترى من طرف الأعداء بأسعار زهيدة، وهذا ما يوضح لنا سلبية الثنائية ونستدل على ذلك من قول السارد:

<< فصار الوطن يباع ويشترى بدينار رمزي>>. [1]

من خلال الرواية يصور لنا السارد موقف الجزائريين اتجاه وطنهم، وذلك من خلال التقليل من قيمته ببيعه وشرائه كأنه سلعة متداولة في الأسواق وعدم الإحساس بالوطنية والمواطنة و الانتماء لهذا الوطن.

4/- دلالة الفرح والحزن:

تعّتبر كلمة(الفرح) من بين الكلمات التي تدل على السعادة والابتهاج وهي تحمل دلالة إيجابية في حياة الإنسان، ومقابل هذه الكلمة نجد كلمة (الحزن) التي تعّبر عن الأسى، و(الحزن) تلك الحالة النفسية التي تصيب الإنسان في الحياة و الموت لأنها تحمل دلالة سلبية.

و في هذا الصدد يقول السارد: << مع الوقت صرنا الموت، أثناء المصارحة، أو الصمت والاختلاف، أثناء الحركة والسكون، أو الفرح والحزن >>.[2]

فهنا عبّر عن ثنائية (الفرح/الحزن) وربطهما بالموت، إذ يرى أن الشعب الجزائري صار يلازمه الموت في كل زمان وكل مكان، حيث أصبح الهاجس الذي يؤرقه ويشغل

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص104.

[2] المصدر نفسه، ص60.

تفكيره في كل حياته، لذلك جمع السارد بين هذه الثنائيات المتضادة في حديثه عن الموت.

5- دلالة الحركة و السكون:

و يقصد هنا << حركة الإنسان تحديدًا دون سائر المخلوقات سواء أكانت حركة الجسد أم النفس كذلك فإنَّ السكون المقصود به ههنا هو سكون الإنسان وليس الكون؛ لأنَّ الحركة تعني الحياة وتعني الموت و إن كان الإنسان حيّا >>.[1]

وتعّد ثنائية (الحركة /السكون) من بين الثنائيات التي ذكرها الكاتب وركز عليها لدورها الفعال و إضرافق جمالية في النص الروائي.

فكلمة (الحركة) تحمل دلالة عميقة على كل ما هو حي، و يتحرك لقضاء حاجته لذلك نجد أن للحركة اتجاهان:

1- الحركة نحو الدنيا، التي تؤدي إلى السكون والفناء.

2- الحركة نحو الآخرة التي تؤدي إلى البقاء.[2]

إن توظيف الكاتب للثنائية (الحركة / السكون)، و ربطها بثنائية (الحياة والموت) لأنها تحمل دلالات كثيرة فالحركة تّجسد الجانب المادي بما فيه من سلب وإيجاب ومثال على ذلك: (ملّذات الدّنيا، اللهو، و اللعب) و(العبادة، العمل الصالح)، أما المعنوي من النفس والذات و تقوى الله تعالى.

و السكون الذي يدل على الموت والفناء، و هذه الثنائية ترمز لصراعات الحياة المتعددة التي يخوضها الإنسان بوصفه كائنًا حيًا يتمتع بالحياة و يستمتع بها.

---

[1] سعدية أحمد مصطفى، البقاء والفناء في شعر أبي العتاهية،ص 187.

[2] المرجع نفسه ، ص 188.

والسارد حين ذكر هذه الثنائية أراد أن يعّبر على ممارسة الفرد الجزائري للعادات والتقاليد في حياته ومماته.

-ويمكننا أن نمثل لثنائية الحركة و السكون عبر الخطاطة الآتية

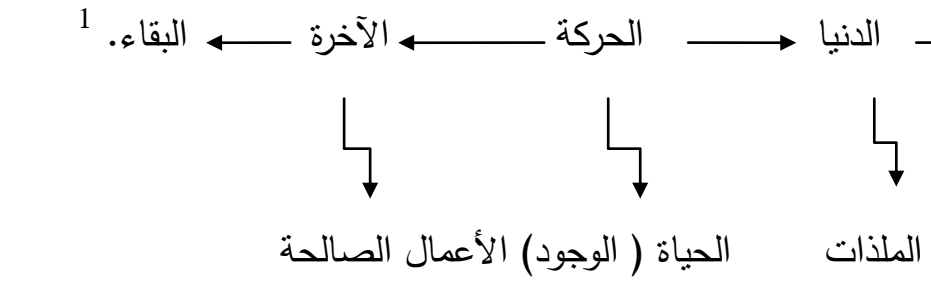

[1]

6/- دلالة الهبوط والصعود:

الثنائيات الضدية المتواجدة في النص الروائي استعملها الكاتب ليثير انتباه المتلقي لها<< فالحديث عن الثنائيات الضدية يعني حديثًا عن توازي الثنائيات، ويسير طرفيها جنبًا إلى جنب معًا >>.[2]

يقول السارد في روايته:

<< بسبب أو من دون سبب، وفق النزوات الصاعدة أو الهابطة >>.[3]

في هذا المقطع تظهر ثنائية (الهبوط/ الصعود) التي وظفها الكاتب للدّلالة على تغير أحوال الإنسان في الحياة تارة يصعد إلى الأعلى أي الأفق وتارة يهبط إلى الأسفل.

---

[1] ينظر، سعدية أحمد مصطفى، البقاء و الفناء في شعر أبي العتاهية، ص 188.

[2] سمر الديوب، الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق د ط، 2009 م، ص 4.

[3] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص60.

و بذلك تكون << الثنائيات المتضادة ظاهرة شائعة في الكون والطبيعة تدخل في تنظيم فعاليات الإنسان الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية وهي وليدة ظاهرة التضاد>>.[1]

من خلال ما سبق تتجلى لنا الثنائيات الضدية المنتشرة في الحياة بشكل تلقائي والاختلاف بين الأشياء الموجودة في هذا الوجود، هو الذي يجعلها في تناقص مع بعضها بعض، وكما تولد لنا جمالية تساهم في اتساق النص وانسجامه، وتتجّسد في حياة الإنسان من كل جوانبها الاقتصادية والسياسية واجتماعية و الروحية.

7/- دلالة الفتح والغلق:

يكشف النص الروائي عن ثنائية متضادة أخرى هي ثنائية (الفتح / الغلق)، ويعبر عنها الروائي للدلالة على الحرب الأهلية، و تدل على سلبية هذه الثنائية.

وتظهر في قول الروائي:

<< ونفتح على أنفسنا أبواب حرب أهلية، لا يقدر أحد على غلقها فيما بعد >>.[2]

حيث يقصد بالفتح هنا فتح أبواب الصراع والنازع بين أفراد الشعب الجزائري ،التي يصعب غلقها و التصدي لها، وبذلك يكون الكاتب قد وظف هذه الثنائية للدلالة على الجدال والصراع الموجود بين الجزائريين بسبب الحرب الأهلية، وما عاناه إبان العشرية السوداء، وهذا ما يقودنا إلى القول بأن الثنائيات الضدية تلعب دورًا كبيرًا في إعطاء الدلالة وتشكل المعنى المراد الوصول إليه وتحقيقه.

---

[1] نرجس حسين زايد ، " الثنائيات المتضادة في النواحي الأخلاقية في شعر زهير بن أبي سلمى "، مجلة مداد الآداب الجامعة المصرية كلية العلوم السياسية ،العدد الرابع، ص193.

[2] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص103.

وفي هذا السياق نجد الجاحظ يقول: << قانون الثنائية الضدية هو قانون الحياة المعيشية، وأن مكونات الوجود تقوم بأمور ثلاثة: منسجم، متغاير، و متضاد >>.[1]

يتضح من خلال رأي الجاحظ أن للثنائية الضدية قانون مركزي يساهم في تسيير الحياة، وتحديد مكوناتها.

8/- دلالة الشك واليقين:

في هذه الثنائية يظهر نوعا من التضاد الذي يوحي بوجود علاقة تنافر بين كلمة(الشك) وكلمة (اليقين) ؛ إذ أنّ الأولى تحمل دلالة على السلب والثانية تحمل دلالة الإيجاب.

ولكن المتأمل لهذه الثنائية يتوصل إلى أن السارد كان يصور لنا حالته التي كانت في صراع بين (الشك واليقين) وهذا ما يظهر جليًا في قوله: << قطعت الشك باليقين فرجعت إلى المقهى مسرعا >>.[2]

هذا يعني أن السارد كان في حالة حيرة، وفي النهاية توصل إلى حل في قرارة نفسه إذ قطع الشك باليقين بالعودة إلى المقهى لمعرفة حقيقة صديقه " الداسي" و التأكد من شكه اتجاهه بأنه يخون وطنه.

9/- دلالة الدخول والخروج:

إنّ الصراع الذي ولدته هذه الثنائية جعلت الراوي يتساءل عن مدى الفوضى التي نشأت من ثنائية (الدخول /الخروج)، من إيديولوجية الدينية والحزبية إلى الخروج منها، وهذا ما يجعله يقول:

---

[1] غيثاء قادرة،" الثنائيات الضدية وأبعادها في المعلقات"، مجلة في اللغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة، العدد العاشر 2012م ، ص27.

[2] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص98.

<< وفوضى الدخول في أيديولوجيا دينية أو حزبية جديدة، والخروج منها >>.[1]

يبرز لنا الروائي انتشار فوضى في الجزائر وانقسم من حزب إلى حزب، ومن مذهب إلى مذهب، ومن إيديولوجيا إلى أخرى هروبًا أو نفورًا.

يكشف لنا هذا السياق الدور الذي تؤديه الثنائيات الضدية في شحن المفردة بعدد من الدلالات المتصارعة فيما بينها.

10/- دلالة الأسود والأبيض:

عبَر الكاتب عن الألوان بثنائية (الأسود /الأبيض) وهي تحمل دلالة عميقة عن المعاناة التي كان " العربي" يعاني منها، ويجسد لنا هذه المعاناة باللون (الأسود /الأبيض) حيث وصف الروائي الحياة التي كان يعيشها بعد موت صديقه "عبه"، بأنها مفرغة من كل معاني الفرح والبهجة، وهي مليئة بألوان الحزن، لذلك وظف اللون الأسود و الأبيض للدلالة على الحزن جراء فراق صديقه.

ويتضح ذلك من خلال وصفه لتلك الحياة التي يراها بأنها ملونة باللونين الأسود والأبيض، إذ أن الأسود يرمز للموت والحزن والكآبة، والأبيض يرمز إلى الكفن والصفاء والنقاء، وهذا ما نجده في قوله:

<< بدا كل شيء رتيب، مفرغ من الحياة، كأنه محاكاة للواقع باللونين الأسود والأبيض >>.[2]

ومن خلال هذ ا السياق نتوصل إلى أن الثنائيات المتضادة تعّد من بين العناصر التي تبرز جمالية النص الروائي و بذلك يكون التضاد أو الطباق، كما عرفه أبو هلال العسكري بقوله:<< قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام، هو الجمع بين الشيء وضده

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص60.

[2] المصدر نفسه، ص176.

في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين السواد والبياض>>.[1]

في هذا السياق يتّضح لنا أنَ الثنائيات الضدية في الرواية تساهم في الجمع بين العناصر المتقابلة سواءً تعلق الأمر بالرسالة أو الخطبة، وذلك لإبراز الأهمية التي تؤديها هذه الثنائية، فلبياض دلالة و للسواد دلالة تختلف اختلاف تاما في رؤية الروائي من حيث التعبير عن فكرته.

11/- دلالة الفقر والغنى:

من بين الظواهر التي يعيشها المجتمع الجزائري ظاهرة (الفقر والغنى) التي تعد من بين الظواهر التي تحدث عنها الروائي في الرواية، وبذلك يكون الفقير عند العرب <<المحتاج >>. [2]

و<< الغني هو الذي يملك الأموال و الدين الإسلامي فرض للفقراء والمساكين أموالا على الأغنياء >>.[3]

في هذا السياق أراد السارد أنّ يبرز لنا التضاد الموجود بين هذه الثنائيات، التي تدل على المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعاني منها الشعب الجزائري، و يتضح ذلك في قول السارد:

<< فيما يبقى الشعب ميتا في الحرب والسلم، في الغنى والفقر، في الزلازل والفيضانات والمجاعات، كما يبقى ميتا في الانقلابات الحكومية >>.[4]

---

[1] سمر الديوب، ثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، ص158.

[2] ابن منظور، لسان العرب مادة (فقر)، ط1، مج 5، ص 61.

[3] نضال أحمد باقر الزبيدي، الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية و الإسلام ، ص121.

[4] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص104.

و قد كشف السارد عن الواقع المزري الذي يعاني منه الوطن وأزاح الستار عن القضايا المسكوت عنها لتظّهر لنا بجلاء ثنائية (الفقر / الغنى) للدلالة على المعاناة التي يعاني منها الشعب الجزائري.

ثانيا/- صراع ثنائية (الحياة والموت) في الرواية:

تعدّ قضية (الحياة والموت) من بين أبرز << القضايا الإنسانية التي شغلت العلماء والفلاسفة والأدباء، التي جعلت الإنسان منذ فجر التاريخ يعاني الفقر والضياع النفسي وتعرض البشرية ومدى إحساسها بفداحة الفاجعة >>.[1]

وثنائية (الحياة / الموت) من بين القضايا البارزة في رواية "بلا وجه أو رائحة" لأنها تجسد الواقع الذي عاشه المجتمع الجزائري في فترة العشرية السوداء.

وهذا يتجسد في مقطع من الرواية : << والقتلى إليَ ماتوا كالذبان؟ >>.[2]

من خلال هذا المقطع نلاحظ أن " العربي" وهو شخصية رئيسية في الرواية يشبه أفراد مجتمعه الذين تعرضوا للقتل " كذبان " للدلالة على كثرتهم، وفي مقطع آخر نجده يقول:

<< كلا، في القلب غصة تمتد لأجيال من ممارسة الموت والقتل...>>.[3]

من خلال هذا المقطع يتضّح لنا أن صراع الفرد الجزائري مع (الحياة والموت) يمتد لأجيال طويلة منذ الاستعمار الفرنسي، وهذا يؤكد على الجدل القائم بين أفراد المجتمع وهذا الجدل يؤدي إلى صراع الإنسان النفسي والاجتماعي مع ثنائية (الحياة /الموت).

ويمكن إبراز تمظهرات هذا الصراع من خلال ما سيأتي:

---

[1] نعيمة فرطاس، فلسفة الحياة والموت في رواية محمد جبريل الحياة ثانية، أصوات معاصرة، القاهرة، مصر، العدد21 2001م، ص12.

[2] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص5.

[3] المصدر نفسه ، ص6.

1/- صراع الإنسان مع الإنسان:

إن صراع الإنسان مع الإنسان يولّد صراعًا مع (الحياة /الموت)، وهذا الصراع بين الحياة والموت يثير جد الاً كبيرًا لدى الكثير من الفلاسفة والعلماء، ومن خلال الرواية يظهر لنا هذا الصراع بوضوح، وهذا الأخير يتجسد في شخصية مجهولة الاسم في الرواية، وهذه الشخصية تتمثل في " أب" عقيلة التي تعد من شخصيات الثانوية في الرواية، الذي كان في المستشفى وهو في صراع مع الموت من أجل البقاء على قيد الحياة، وهذا ما يوضحه المقطع الآتي:

<< أشحت وجهك بتوتر، ورحت تتساءل في نفسك كيف يمكن لها أن تعيش حياتها بمثل هذا الشغف وأبوها يتوزعه مصيران، إما الموت أو الحياة ميتا، على أن الموت يبدو أقربهما نظرا لحالته التي تبدر باليأس؟ >>.[1]

من خلال هذا المقطع نلاحظ أن شخصية " العربي" التي تمثل الشخصية الرئيسية في الرواية تتساءل عن شخصية عقيلة التي تعيش حياة مليئة بشعور اللهفة وهي تبحث عن الأمن والطمأنينة، وأبوها يصارع الموت ويبحث عن << طريقة مُواجهة الموت عن طريق الامتلاء بالحياة، فإن كان الموتُ قدرا محتومًا ولا حياة بعده، يغدُو الامتلاءُ بالحياة الوسيلة الوحيدة لقهره والتغلُّب على حتميته >>.[2]

نلاحظ في هذا الخصوص أن الوسيلة الوحيدة لقهر الموت ومواجهة الامتلاء بالحياة والتفاؤل والأمل، وهذا ما يتجسد في قول السارد:

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص13.

[2] خالد الجبو و رزان إبراهيم، شعرية الفقد جدل الحياة والموت في شعر الخنساء، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1433 هـ- 2012م، ص32.

<< تعرض يوما لكمين على مرمى خمس حجرات من الأمن والجيش، مات من مات، وشوه من شوه لمدى الحياة، وأخذوا النساء والشباب الباقين إلى الجبل، أما هو فقد ظل غائبا عن الوعي منذ حوالي السنة والنصف >> .[1]

انطلاقا من هذا المقطع تتجلى لنا جدلية (الحياة /الموت)، و تتضح من خلال قتل أفراد الشعب الجزائري لبعضهم البعض، و انتشار الفتنة وغياب الأمن و تردي الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، ويتجلى أيضا الصراع الذي كان يقوم به " أب" عقيلة مع الموت من أجل البقاء على قيد الحياة لفترة زمنية دامت سنة والنصف وهذه الفترة تجسد معاناته ومقاومته و كفاحه ضد الفناء.

وبهذا يمكن اعتبار << الموت هو أول هم إنساني و أول فزع إنساني، و أول قضية ميتافيزيقية تشغل فكر الإنسان وفطرته قبل تعقيد الثقافات والمعارف >>.[2]

نلاحظ مما سبق أن الموت يعد من بين القضايا التي شغلت بال الإنسان وفكره وأرقته منذ الأزل و جعلته << يعيش مع هاجس الموت الذي يرقبه في تجربة الحياة وتأثير الواقع النفسي والديني والثقافي فيه >>.[3]

يرصد لنا السارد في المقاطع الآتية من الرواية الموت كحقيقة واقعية إذ يقول:

<< صار الموت مولد المتعة المفضل لدينا، إذ كلما انتشر الموت كلما ازدادت كثافة الشعب >>. [4]

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص13.

[2] كاميليا عبد الفتاح، إشكاليات الوجود الإنساني (دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي و الحداثي)، دار المطبوعات الجامعية أمام كلية الحقوق، إسكندرية، د ط،2008م، ص 169.

[3] مؤمن قريش، تأملات بنية فلسفية في الموت وما بعده، مجلة مخصصة تعنى بشؤون الفكر الديني والفلسفة الإسلامية، بيروت، لبنان، العدد التاسع عشر، 2008م، ص16.

[4] علي دغمان ، بلا وجه أو رائحة ، ص 95.

وهنا نلاحظ أن السارد يتناول موضوع الموت بطريقة ساخرة ناقدة للواقع.

وقوله:

<< الموت لا يصلح موضوعا للمتعة، حتى بالنسبة للعدو، ثم إن الشعب ميت ميت في الحرب ضد المستعمرين >>.[1]

من خلال ما سبق أظهر لنا المقطع الأول رأي الكاتب على لسان السارد حقيقة الموت، وكيف أن أفراد الشعب الواحد ينظرون إليه من جانب المتعة والتسلية.

أما في المقطع الثاني نلاحظ رفض الروائي لفكرة أن يكون الموت موضوعا للمتعة حتى بالنسبة للعدو، وهذا يظهر لنا مدى الأخلاق النبيلة التي يتمتع بها السارد، وهو دليل على مدى إخلاصه و حبه لوطنه.

ومن المواقف التي تحمل الدلالة على صراع الإنسان مع الإنسان، نجد حديث "عبّه "عن الحياة التي يريد أن يعيشها دون خوف من الموت غدرا من طرف إخوانه إذ يقول:

<< أريد أن أعيش، أن أعمر لسنوات طويلة، وأتزوج، وأسعد برؤية أبنائي وأحفادي وأسعد أكثر وأكثر لعلمي بأنهم سيحيون بعدي في سعادة وأمان >>.[2]

يكشف لنا الروائي عن مدى الصراع الذي يعيشه صديقه "عبه" مع الحياة بما تحمله من المعاني الدالة على الخوف من الموت، وهذا يتضح جليًا في كلام "عبه" الذي يريد تحقيق أحلامه و العيش مع أحفاده و أبناءه لمدة طويلة من الزمن، وكذلك العيش في سعادة و رخاء، و الابتعاد عن حياة يسودها الخوف و الرعب من المصير المجهول بسبب الأوضاع التي سادت الجزائر من قتل و اعتداء، و الأمل في مستقبل مشرق مليء بالأمن و الاستقرار.

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 95.

[2] المصدر نفسه، ص208.

ولا شّك<< في أن خشية الإنسان من الموت تستند إلى رؤية محددة إلى الموت والحياة الأمر الذي يدعوه إلى التمسك بالأخيرة ومحاولة الفرار من الثانية، ولو بأشكال غير واقعية أحيانا >>.[1]

أظهرت الرواية الصراع الذي كان يعيشه الإنسان في تلك الفترة التي تعرف بالعشرية السوداء، إذ كان في صراع دائم مع الحياة والموت.

يكشف السارد عن خبايا الصراع في قول : << سأجعلك تحيا فارغا ، بحيث تحثو التراب ولا تبرأ من سقمك، ستطلب الموت لأنه راحة لك ، لكنك لن تجده، لأنني أريدك أن تتعذب، وتشقى >>.[2]

صّور لنا الراوي صراعه مع " داسي" الذي يصّرح له بأنه سيجعل حياة فارغة من كل معاني الفرح والسعادة، إذ يحيًا حياة مليئة بالمشاكل و العقابات.

ومن المظاهر التي تحمل دلالة على مدى حّدة الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان قول السارد:

<< غير أن جميع الظروف والملابسات تدفع إلى الاعتقاد بأن داسي وراء موت صديقيك>>.[3]

يبرز السارد في هذا السياق الشك والربا في نظرته" لداسي"، واعتقاده بأنه له صلة بموت صديقه"عبه" و" الطاهر"، وهذا ما جعله يقول:

<< يقتل القتيل ويمشي في جنازته >> .[4]

---

[1] مؤمن قريش، تأملات بنية فلسفية في الموت وما بعده، ص6.

[2] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 229.

[3] المصدر نفسه، ص 177.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وظف الكاتب هذا المثل الشعبي ليعبر عن الحقيقة التي يخفيها " الداسي" خلف القناع الذي يرتديه، وذلك من خلال التظاهر بالأخلاق النبيلة وحبه لفعل الخير، وهذا القول الشعبي يحمل دلالة عميقة على الصراع القائم بين أفراد المجتمع الجزائري و غياب القيم والأخلاق و انتشار الشقاق و النفاق.

2/- صراع الإنسان مع الأوضاع: (الاجتماعية و السياسية).

في النص الروائي تبرز القيمة الأساسية من خلال الصراع القائم بين الحياة والموت باعتبارها ثنائية متضادة، تأخذ طابع اجتماعي واقعي يصّور صراع الإنسان الدائم مع الأوضاع ، ويتجسد هذا الصراع في العديد من المواضع التي تكشفها لنا الرواية وتزيل الستار عنها، ويتجلى ذلك في حديث السارد عن حياة الفرد الجزائري.

إذ يقول: << فكرت أنه قد يكون رب أسرة خرج في الصباح بحثًا عن الخبز لأبنائه أو عن خاتمة للحلم الصفيق، الذي لم نسأم تكرار معانيه الصدئة بعد ، الحلم بوطن تشرق شمسه على الجميع >> .[1]

جاءت كلمة صباح هنا للدلالة على حياة جديدة وأمل في مستقبل جميل يسود فيه الوطن الأمن والأمان والاستقرار.

وقوله: << لم أفهم يوما سر لهفة المستعمرين والمستبدين والجشعين عليك، فقد كنت قبلتهم، وسر تجددهم وخلودهم، منذ فجر التاريخ، وإلى أن يرثك الله بما حويت من قتلى وظلم واستبداد >>.[2]

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص 11.

[2] المصدر نفسه، ص 206.

هنا يتساءل الروائي عن السر الذي يجعل كل من يرى وطنه يريد أن يحتله، كما يصّور لنا الواقع الذي عايشه الشعب الجزائري بما فيه من موت وحياة مليئة بالظلم والاستبداد.

ومن خلال هذا المقطع نتوصل إلى أن الإنسان الجزائري كان في صراع دائم مع الأوضاع التي ينعدم فيها الأمن والأمان والطمأنينة.

وفي هذا الخصوص يقول الروائي:<< في السابق كنا نموت من أجل العرض والقيم أما الآن فصرنا نموت جراء الحقد والجشع..>>.[1]

يشير الروائي إلى الأوضاع السائدة في الماضي، أي وقت الثورة أين كان الشعب الجزائري يموت في سبيل الدفاع عن وطنه وعرضه، وفي الوقت الحالي أصبح يموت غدرًا من طرف إخوانه، ذلك بسبب الحقد والحسد، والطمع الذي انتشر في المجتمع الجزائري.

وهذا الصراع يعانيه الإنسان بسبب تلك الأوضاع الاجتماعية و السياسية التي صورها الكاتب في روايته، وبذلك يكون << مفهوم الموت لا يمكن أن يكون إلّا ثقافيًا ، وأي شعور بالخوف منه وتسليحه بما أمكن من الطاقات تصّور إفنائه القادم من تجسّد فكرة الموت أمامه >>.[2]

يتضح لنا في هذا السياق صراع الإنسان مع فكرة الموت في الواقع، إذ يجب أن يكون لدى الإنسان إرادة قوية ويتسلح بالطاقات الايجابية للمواجهة والتصدي لكل الأوضاع السيئة السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه.

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص208.

[2] محمد صابر عبيد، سيمياء الموت تأويل الرؤيا الشعرية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، د ط 2010م، ص106.

وهذا ما يظهر جليًا في قول الروائي:

<< فوجدت في نظرات أبيك تضاربا في المعاني بين الحيرة والرضا، بين الاستنكار والاستسلام، وبين الرفض والاحترام، حاولت أن تبتسم، أن تهش لوجه أبيك الشاحب حتى تخفف عنه حرقة الصراع، غير أنك كنت فارغًا من معاني الحياة >>.[1]

يجسد لنا هذا المقطع مدى حّدة حزن " أب العربي" ومعاناته جرّاء ما يحدث في وطنه من إجرام وفساد وقتل واستبداد، وأوضاع مزرية كلها تحمل برهان على جدال الإنسان مع الحياة والموت، سواءً أكان هذا الجدال والصراع نفسيًا داخليًا أو خارجيًا ويظهر من خلال ملامح الشخص وهيئته.

وهذا ما يجعلنا نتصور بأن الموت كان يشغل المواطن الجزائري والشعب في ذلك الوقت، وشعله الشاغل بسبب الأوضاع المتردية.

وفي هذا الخصوص نجد الروائي يقول ويصرح: << الرجل حتى يستحق لقبه سنوات وجهد كبيرين، لكنه تطلب فقط ثلاث لحظات لإنهاء وجوده، قرار الموت، والتنفيذ، ثم الدفن >>.[2]

يصّور الروائي حال الرجل في الجزائر وكيف يكون هويته وهذا ما يتطلب سنوات عديدة من الزمن، ولكن وفاته لا تتطلب إلا لحظات قليلة، فهو يرى بأن الإنسان لا قيمة له ولا لحياته مادام يقتل بكل بساطة وسهولة في وطنه.

---

[1] علي دغمان ، بلا وجه أو رائحة ، ص209.

[2] المصدر نفسه، ص176.

وهذا ما يجعلنا نرى بأن << الموت خليف الحياة، ولحظة اكتمالها عند البعض، كما أنه أنين الوجع والألم والشيخوخة، الذي يتحول إلى اغتراب وافتراق ونهاية للحياة عند قوم آخرين>>.[1]

من خلال ما سبق نلاحظ أن الموت مرتبط بالحياة، وذلك لأن الإنسان منذ ولادته مقدر عليه أن يحيى فترة من الزمن ويموت، وذلك حتمًا عبر مروره بمراحل من الحياة طفولةً و شباباً و شيخوخةً.

نخلص مما سبق طرحه في الفصل الأول أن جدلية (الحياة /الموت)، كانت من أبرز الجدليات التي أثارت فكر الإنسان وزعزعت كيانه، باعتبار أن كل من الحياة والموت خلق من خلق الله عزوجل، وقد سعى الإنسان لفهم هذه الجدلية و استيعابها، وقد عالجها الروائي بُصَوِر عديدة و مختلفة و متنوعة بتناول عدة قضايا إنسانية.

[1] مؤمن قريش، تأملات بنية فلسفية في الموت وما بعده، ص16.

الفصـــــل الثاني

تجليات ثنائية" الحياة والموت " في البنية السردية لرواية "بلا وجه أو رائحة".

أولا/ ثنائية الحياة والموت وتجلياتها في الشخصية الروائية

1/ بنية الوصف الخارجي للشخصية الروائية

2/ بنية الوصف الداخلي للشخصية الروائية

ثانيا: ثنائية الحياة والموت وعلاقتها بالزمان والمكان في الرواية.

1/ ثنائية الحياة والموت وعلاقتها بالزمان

2/ ثنائية الحياة والموت وعلاقتها بالمكان

إنَّ للشخصية الروائية دور فعال في تحريك أحداث الرواية و تسّيير وقائعها من خلال احتكاكها مع غيرها من الشخصيات المتواجدة في الرواية، وبذلك فهي ترصد لنا الواقع الاجتماعي والثقافي لهذه الشخصيات.

أولا / ثنائية الحياة والموت وتجلياتها في الشخصية الروائية:

تحتل الشخصيات الركيزة الأساسية في العمل الروائي، ومكانة ودورًا كبيرًا في سير وقائع العمل السردي، وقد عرّفها العديد من الأدباء و النقاد وذلك نجد أحمد عبد الخالق يقول:

<< الشخصية هي المحور العام الرئيسي، الذي يتكفل بإبراز الحدث، وعليها يكون العبء الأول في الإقناع بمدى أهمية القصة >>.[1]

وهذا ما يتجلى في رواية "بلا وجه أو رائحة"، حيث نجد أن شخصية "العربي" هي الركيزة الأساسية لهذه الرواية، والمسيّرة للأحداث و الوقائع، وكانت هذه الشخصية تنظر إلى الحياة نظرة رمادية مليئة بالحزن و التشاؤم ؛لأن "العربي" كان يتحدث منذ بداية الرواية إلى نهايتها عن ثنائية الحياة والموت، ويتجلى ذلك من خلال تصريحاته إذ يقول: << من الموت و إلى الموت >> [2] وقوله: << ليس الموت ما أخشي >> [3]و<< الموت تعطي راحة >>.[4]

في هذا السياق يرصد لنا الراوي ظاهرة الموت المنتشرة في المجتمع الجزائري، بما فيها من أحزان وهموم و فجائع وقتل.

---

[1] نادر أحمد عبد الخالق ، الشخصية الروائية بين علي أحمد با كثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية و فنية، دارالعلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1 ، 2009 م، ص 40.

[2] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص25.

[3] المصدر نفسه ، ص27 .

[4] المصدر نفسه، ص26.

أما عن الحياة فنجده يقول: << بدا كل شيء رتيب، مفرغ من حياة >>.[1]

هنا يصف لنا الراوي الأجواء السائدة عندما مات صديقه "عبة" إذ أصبحت الحياة بالنسبة إليه مفرغة من معاني الفرح، ويسودها الفزع و الخوف والحزن.

ولذلك << وعوملت الشخصية في الأعمال الإبداعية على أنها كائن اجتماعي له وجود ودور في الحياة يمكن أن يختزل مميزات الطبقة الاجتماعية >>.[2]

أي أنَّ الشخصية تجّسد الواقع الاجتماعي الذي تعيش فيه في أي عمل روائي.

1/ بنية الوصف الخارجي للشخصية الروائية:

* الوصف الخارجي:

هو<< الوصف الذي ينهض بتحديد الملامح الخارجية المميزة للشخصية المُقدَّمة >>.[3]

من خلال ما سبق نستنتج أن الوصف آلية تعمل على تجسيد وتشكل الشخصية وذلك بوصف ملامحها وذكر أهم أوصافها التي تميزها عن غيرها.

وفي رواية (بلا وجه أو رائحة) يمكننا رصد أهّم الأوصاف الخارجية التي منحها الروائي لشخصيات على لسان السارد، ومن الملامح التي تتصف بها كل شخصية وتميزها عن الأخرى. وهذا ما يجسُد لنا الاختلاف بين الشخصيات وتمايزها.

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 176.

[2] ناصر الحجيلان، الشخصية في قصص الأمثال العربية، دراسة في الأنساق الثقافية للشخصية العربية، الناشر النادي الأدبي بالرياض و المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط1، 2009م، ص58.

[3] أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، دار الفارس للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2005م ص 65.

و أول شخصية نبدأ بها شخصية "البطل" التي تعتبر من الشخصيات الرئيسية، إذ نجد أنّ هذه الشخصية التي وهبها الكاتب "اسم العربي" الذي يعطينا بعض الأوصاف الخارجية التي يجسد لنا الروائي حالته الخارجية فيقول:

<< كادت عيناك العسليتان أن تتدلقا من محجريهما، من هول ما سمعتا >>.[1]

في هذا المقطع السردي يكشف لنا الروائي شكل عينيه من هول الخبر الذي سمعه وهذا يعكس لنا ردة فعله من ذهول و تعجب.

1/ داسي:

وهو من الشخصيات المركزية في الرواية، لأن السَّارد ركز عليها كثيرا، وأعطاها ملامح وصفات خارجية، وهذا ما يتجلى في قوله:

<< رمقك بتلك النظرة الشاردة التي تخفي الكثير من المعاني وراء خضرة عينيه الضيقتين الزائغتين، اللتين بدتا كأنهما عينا حرباء استوائية >>. [2]

هنا من خلال هذا المقطع يصف لنا "العربي" ملامح صديقه "داسي" حينما ذكّره بالجزائريين الذين ماتوا.

وأراد من خلال ذلك معرفة ردة فعل" داسي" وذلك من خلال وصف ملامحه التي تحمل دلالة الفرح أم الحزن، و في هذا القول تتّضح لنا الملامح التي كان يتصف بها "الداسي"وهي خضرة العينين، وتشبه الروائي له بالحرباء.

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة،ص 108.

[2] المصدر نفسه، ص5.

وهكذا نجد أن "الداسي" يتميز بأوصاف تشبه الحرباء ، و ذلك من خلال خضرة العينين والشفتين الزرقاوين وهذا يتجسد في قوله :

<< مررت نظرة خاطفة على داسي، فزاغت عيناه الضيقتان أكثر فأكثر ، وهو يتلفظ بشفتيه الزرقاوين كأنما انتهى من أكل شيء >>.[1]

في هذا المقطع نلاحظ وصفه للكيفية التي كان عليها "داسي" وملامحه أثناء كلامه، إذ تغيرت ملامحه الخارجية بدأ من الفم والعينين.

وفي موقف آخر السارد يصف حالة "داسي"، وهو متعجب فيقول :

<< تعجب داسي، وهو فاغر الفم والعينين >>.[2]

يبرز الروائي الملامح الخارجية " لداسي" من فمه وعينيه وهو متعجب.

2/ الطاهر:

يعّد من الشخصيات المهيمنة على النص الروائي، التي ركز عليها السارد من خلال وصف المظهر الخارجي لهاته الشخصية و يتجلى ذلك في قوله: << بدت عينا الطاهر بارزتين بشكل مخيف جدا >>.[3]

بروز العينين هنا يحمل دلالة على الألم الذي كان يعاني منه " الطاهر" وهو يصارع الموت من أجل البقاء حيًا، ومن خلال هذا المقطع حاول السارد أن ينقل لنا ملامح الطاهر وهو في المستشفى ويصف لنا حالته التي كان يتوزعها مصيران إمَا الحياة و إمّا الموت.

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص27.

[2] المصدر نفسه، ص95.

[3] المصدر نفسه، ص15.

وفي مقطع آخر يصفه بأنه: << بدا ميتا وهو مكفن في الإزار الأبيض الذي غطى جسمه بالكامل، بحيث ظهر وجهه الشاحب كحبة بطيخ منكمشة>>.[1]

هنا أسقط عليه السارد الكثير من الصفات التي تّدل على المرض والاقتراب من الموت ومن هذه الصفات نجد شحوب الوجه، وكذلك تشبهه بالبطيخ المنكمش، وهذه الصورة تجّسد لنا مدى سوء حالة " الطاهر" و معاناته جراء الصدمة التي مّر عليها، وهذا ما يوضحه قوله: << بدا الطاهر شبه ميت وهو مسطح على سرير، تلوح في عينيه الزرقاوين الذاويتين غمامات التوتر و الانزعاج >>.[2]

وهذا الوصف الذي قدّمه السارد تجسد لمعاناة " الطاهر" مع المرض وجراء تعرضه محاولة اغتيال ثالثة.

وفي مقطع آخر يجسد لنا السارد ملامح الموت التي كانت تظهر على" الطاهر" وذلك في قوله:

<< لم تنتبه أن صديق الطفولة كان يحتضر فانحسار الشعر جهة الجبهة، وتساقط شعر الحاجبين والعينين مع شحوب الوجه، والهزال والتعب الشديدين كلها علامات تدل على بداية الطريق إلى الموت>>.[3]

السارد في هذا السياق الحكائي الوصفي حدّد لنا أهم الأوصاف الخارجية، التي تّدل على اقتراب الموت وفقدان الحياة، وذلك يتجلى في ذكر الصفات من سقوط شعر الحاجبين والعينين وشحوب الوجه كلها دلالات على الموت.

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص 101.

[3] المصدر نفسه، ص102.

3/ نوارة:

وه ي إحدى الشخصيات الرئيسية التي تحدث عنها البطل وقام بوصفها وصفًا دقيقًا إذ يقول:

<< كنت تنظر إلى نوارة وهي ترمق البحر بعينيها الحالمتين، كانتا أكثر اتساعا، وأشد زرقة، بحيث خيل إليك أنهما البحر نفسه...>>.[1]

هذا المقطع السردي شبه السارد عينيا " نوارة "بالبحر في جماله واتساعه و زرقته.

وفي موقف آخر يقول:

<< تقترب من مياه الشاطئ، تغترف غرفة بيدها، تمسح وجهها، وحين تلامس المياه قدميها الحافيتين وتتبين مقدار برودة الماء، تصرخ، وترتد مسرعة إلى الخلف...>>.[2]

يتحدث السارد عن" نوارة " وذكر الكثير من الملامح التي تميز ها من خلال وصف يديها وقدميها، أثناء لعبها بماء البحر.

والسَّارد يقول: << خرجت نوارة، فاتجهت نحوها.. كانت ترتدي حجابا كالناس. يلوح من وراء خمارها الأزرق السماوي وجه كالحلم. فيزيد في مدى إشراقة عينيها العسليتين الواسعتين، حتى تضيق بهما معاني الحياة كلها >>.[3]

في هذا المقطع وصف لنا السارد المظهر الخارجي" لنوارة "من خلال ذكر ما ترتدي ها من (حجاب وخمار)، للدلالة على جمالها.

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 115.

[2] المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه ، ص45 – 46.

4/عقيلة:

هي من الشخصيات الثانوية التي تدور حولها الأحداث وهي شخصية اختارها الروائي بدقة راسمًا ملامحها و تصرفاتها.

ويحيط الرّوائي شخصية عقيلة باهتمام من خلال نقدها والحط من قيمتها إذ يقول : <<غير أنك استطعت تميز بهرجتها الصارخة، وطريقة هندامها المغرية، مع رائحتها المتوثبة وصوتها اللعوب، بحيث توحي أنها تريد تحقيق أحلامها كلها، دفعة واحدة وبسرعة قياسية وأن شكلها المنحوت من جنة الزين و الغوابة، هو المعبر الوحيد لذلك >>. [1]

يذكر الراوي أوصاف التي تميزت بها عقيلة من طريقة لباسها المغربة و الملفتة للانتباه بصوتها اللعوب و رائحتها التي تستعملها لإثارة الرجال من خلال تصرفاتها التي تدل على تصميمها على نية خبيثة و تفسير ما تعيشه هذه الشخصية من رغبات جامحة من أجل تحقيق أحلامها.

وفي مقطع أخر يصف الروائي عقيلة فيقول :

<< سقط الكيس من يد عقيلة، حين اصطدمت بها، إذ بدت مترنحة كالقصب الفارغ ذاوية كخرقة بالية وجهها شاحب، تعلو عينيها الباهتتين هالة رمادية >>. [2]

يكشف الروائي في هذا المقطع عن حالة عقيلة من خلال ذكر لأوصافها، الخارجية من شحوب الوجه وعيناها الباهتتين، من تعب و إرهاق وهزل كلها أوصاف أسقطها الروائي على هاته الشخصية.

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص 12.

[2] المصدر نفسه، ص 176.

وبذلك تكون << الشخصية مكونا أساسيا في السرد، فالحكاية باعتبارها مجموعة أحداث يستدعي تحققها وجود شخصية واحدة على الأقل >>.[1]

نلاحظ في هذا السياق أنّ للشخصية الدور الكبير في تسير الأحداث و استمرارها بشكل متواصل في الراوية.

5/عبه:

يعتّبر من الشخصيات المثقفة التي لها مكانتها في المجتمع فهو يكتب في الجريدة مقالات عن الإرهاب باللغة العربية واللغة الفرنسية، فهو صحفي يحب وطنه ويحب الحياة فيه ويدافع عنه بقلمه و إحساسه.

و الروائي منح شخصية "عبه" صفات تتناسب مع هيئتيه ومكانته الاجتماعية ويكشف لنا الروائي عن بعض أوصاف هذه الشخصية.

فيقول: << فأردف عبه، وهو يحاول مداراة ابتسامة خبيثة، طبعت وجهه بلون أصفر غريب>>.[2]

أسقط عليه الروائي صفة الخبث، وذلك من خلال ابتسامته المليئة بالجشع والتكلف وهي غير نابعة من القلب.

وفي قوله: << برزت عينا عبه الخضراوين، لحد أنهما أوشكتا على السقوط من محاجرهما ثم رسم ابتسامة عريضة >>.[3]

---

[1] عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب الصالح البنية الزمنية و المكانية في (موسم الهجرة إلى الشمال)، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع ،الجزائر، د ط، 2010م، ص 153.

[2] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 65.

[3] المصدر نفسه، ص 45.

وصف الروائي اخضرار عينا عبه وابتسامته العريضة، المليئة بمعاني الحياة الجميلة للدلالة على الفرح والسعادة.

وفي مقطع آخر يصف شدة بروز عينا "عبه" فيقول:

<< يردد عبه العبارة مرة أخرى. و يغمزك بعينيه البارزتين>>.[1]

في هذا المقطع يصف لنا الروائي مدى بروز عينا "عبه" للدلالة على التعجب.

وقوله :

<< ضحك عبه حتى شرقت عنياه بالدمع>>.[2]

هنا يصف لنا الروائي مدى إشراقة عينا "عبه" وهو يضحك، وفي هذا الوصف قصد الدلالة على فرح "عبه" و بهجته.

أظهر السارد في هذا المقطع لون عينا "عبه "و هو يتصفح الأوراق إذ يقول:

<< وكلما تقدم في تفحص الأوراق أكثر، كلما اتسعت خضرة عينيه >>.[3]

في هذا المقطع يظهر إعجاب الروائي بجمال عينا "عبه" لما تحملانه من خضرة واتساعًا زاد في بهاء ملامحه.

---

[1] علي دغمان ، بلا وجه أو رائحة، ص 41.

[2] المصدر نفسه، ص 39.

[3] المصدر نفسه، ص34.

2/ بنية الوصف الداخلي للشخصية الروائية:

* الوصف الداخلي : هو<< الذي ينهض على تحديد أهم الملامح الداخلية التي تميز الشخصية، والسارد الخارجي العليم، يتمكن من تلمسها بناءً على قدرته على معرفة ما يدور في ذهن الشخصية، و أعماقها >>.[1]

إن الوصف الداخلي للشخصية يكون بوصفه لإحساسها و شعورها الذي ينبع من أعماقها، وهذا الوصف الداخلي يتجلى في الرواية " بلا وجه أو رائحة "، و أول شخصية نبدأ بها هي شخصية" العربي" الذي لعب دور السارد في الرواية، إذ أنه ينقل لنا الإحداث التي تدور في الرواية على لسان الروائي، كما أنه يعّبر عن مكنوناته من خلال وصفه لأح اسيسه المتناقضة.

وهذا يبدو جليًا في قوله : << شعرت بالحزن على الطاهر وهو يتلاشى كحبات الرمل إذ تنثال من بين أصابع اليدين، فرحت تردد في نفسك بحسرة. من كان يتوقع أن ينقلب هكذا مصير الرجال في الجزائر؟..>>.[2]

يصف لنا " العربي" شعوره بالحزن وهو شعور داخلي نابع من القلب، وهذا الشعور ربطه بالموت، وذلك لأنه يرى " الطاهر" وهو يصارع في فراشه الموت من أجل الحياة.

وكذلك في قوله:

<< وأنت تنظر إلى الطاهر بذهول، شعرت بألم فظيع يعتصر عصديك>>.[3]

يعّبر السارد عن إحساسه بالألم عند تفقّده لحالة صديقه " الطاهر"، وفي هذا الموقف الحزين يفصّح عن ما بأعماقه من ألم وحزن دفين.

---

[1] أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، ص 68.

[2] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص 17.

[3] المصدر نفسه، ص 18.

ومن تجليات الوصف الداخلي أيضا نجد قوله :

<< تشيع في الغرفة أجواء الغربة و الحزن، فكل شي ء يغرق في فراغ العتمة والحنين>>.[1]

يتحدث السارد مع نفسه و يعبّر عن حالته النفسية و مكبوتاته، إذ يرى أن الغرفة مليئة بالحزن و الحنين.

ويكّشف السارد عن إحساسه بالحزن والأسى في قوله :

<< كنت حزينا لموقف داسي البارد اتجاه الأحداث التي أوشكت أن تمحو الشعب و الوطن فقد غلبت عليك الحيرة وأنت تقلب موقفه الفارغ في قرارة نفسك >>.[2]

نجد " العربي" يصّور لنا حالته النفسية بما فيها من حزن وحسرة اتجاه موقف صديقه " داسي".

وفي مقطع آخر يعّبر عن حالة الغضب التي تملكته فيقول:

<< غلى الدم بعروقك، وانتفضت، شعرت بالغضب يتصاعد إلى حلقك، مخلفا مرارة لم يكن ليطفئها بصاق، ولا صراخ >>.[3]

في هذا السياق يصف لنا السارد شعوره الداخلي المتمثل في حالته النفسية التي كانت مضطربة وغير مستقرة على حال واحد.

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 25.

[2] المصدر نفسه، ص 29.

[3] المصدر نفسه، ص 114.

ثانيا / ثنائية الحياة والموت و علاقتها بالزمان و المكان في الرواية:

1/ ثنائية الحياة والموت وعلاقتها بالزمان:

يعّد الزمان العجلة المحركة للنص الروائي باعتباره يدخل في البناء السردي، وهو من العناصر الأساسية التي تنطوي عليها ثنائية الحياة والموت.

و لذلك<< كانت مواجهةُ العربيّ الجاهليّ للموت مُواجهةً للزّمان، وهي التي أحدثت ذلك التصوُّر للدّهر الذي يأتي على كل شيء فيهلكه لا محالة >>.[1]

يعني هذا أن الإنسان منذ القدم إلى يومنًا هذا يسعى بكل الطرق لمحاربة الموت والزمن بشتى الوسائل الممكنة.

<< ولعل تفكير الإنسان بالماضي و المستقبل يمنحه بعض الراحة من فكرة الموت فنجد في الذكريات الماضية ملجأ له، وفي آمال المستقبل وأحلامه الملاذ الذي يبعد شبح الموت وهاجسه >>.[2]

أي أن الإنسان بمجرد تفكيره بالماضي يجد الراحة النفسية من خلال احتمائه بذكرياته الجميلة التي مضت، وتفكيره بمشاريع مستقبلية تجعله ينسى التفكير في الموت و يعيش حياته بشكل طبيعي.

وعلى سيرة الماضي نجد الراوي يقول:

<< حنوا لزمان الثورة، أين كانوا يتقاتلون في الجبل ضد بعضهم البعض على طريقة الديكة >>.[3]

---

[1] خالد الجبر و رزان إبراهيم ، شعرية الفقد جدل الحياة و الموت في شعر الخنساء ، ص 71.

[2] مها حسن القصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، دار الفارس للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1،2004 م، ص25.

[3] علي دغمان ، بلا وجه أو رائحة ، ص65.

يشبه الراوي صراع الجزائريين مع بعضهم بعض بصراع الديكة، لربط بين زمن الاستعمار الفرنسي وزمن العشرية السوداء للدلالة على الخيانة و النفاق المنتّشر بين أفراد الشعب الجزائري من خلال قتل بعضهم البعض في الجبال.

كما نلاحظ في هذا السياق عودة الروائي إلى زمن الثورة، واسترجاع ذكرياتها المليئة بالظلم والاستبداد و التعسف من طرف المستعمر الفرنسي.

وفي النص الروائي يتجلى لنا الزمن بقوة و يتضح ذلك في قول السارد:

<< وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة سنة 355 م>>.[1]

يتحدث الروائي هنا عن الموت وعلاقته بالزمن، وهذا للدلالة على العلاقة الموجودة بينهما في إطار الوجود الإنساني.

ولحياته التي تجري في شكل حلقة تدور بين الماضي و الحاضر و المستقبل، وهذه الحلقة دائرية تبدأ بالحياة وتنتهي بالموت و الزوال.

ولذلك << تبدأ حياة الإنسان لتنتهي في جدلية مع حركة الزمن الدائرية التي تنتهي بالموت >>.[2]

إنّ الزمان يحمل دلالة على الوجود الإنساني منذ نشأته إلى موته، والزمان جاء في الرواية بمواضع عديدة، وذلك لأن الروائي يستذكر من خلاله الماضي لذا يقول:

<< يمضي زمان ، ويأتي آخر، فنجد أنه في جامعة باب الزوار، مسجل في كلية الطب>>.[3]

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص150.

[2] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص 29.

[3] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 69 .

يصّور لنا السارد مرور الزمن بسرعة بلمح البصر، إذ يجد صديقه" داسي" مسجل في الجامعة، وحاول من خلال

هذا السياق أنّ يربط بين الزمان والمكان للدلالة على الفترة الزمنية التي قضاها للوصول إلى هذا المستوى، الذي تطلب منه سنوات من الجهد و المثابرة للالتحاق بكلية الطب.

و لذلك << فالزمن أبعاد ثلاثة الماضي والحاضر و المستقبل، ولهذه الأبعاد تأثيرها على الكائنات >>.[1]

وفي موضع آخر أظهر لنا السارد صور عديدة عن الزمن حين كان يتحدث عن " الداسي" و "عبه "وعن الصداقة التي كانت تجمع بينهما منذ الطفولة فيقول:

<< خاصة أنه لم يحضر جنازة عبه، صديقه منذ زمان الطفولة >>.[2]

في جنازة "عبه" يسترجع السارد ذكريات الماضي، ويقوم بربطها بالحاضر من خلال تساؤله عن عدم حضور" الداسي" لجنازة "عبه"والشك فيه أنه كان السبب وراء موته.

في هذا السياق نلاحظ ربط السارد بين جدلية الموت والزمن للدلالة على وجود علاقة وثيقة بينهما، وذلك يتضّح من خلال ترتيب الأحداث و تسلسلها بشكل منطقي في الرواية.

---

[1] بشرى عبد الله ، جماليات الزمن في الرواية دراسة متخصصة في جماليات الزمن في الرواية الإماراتية، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ – 2015 م، ص 37.

[2] علي دغمان ، بلا وجه أو رائحة، ص 177.

وفي هذا الخصوص نجد أن الزمان: << هو محصلة للماضي والحاضر و المستقبل، وتتابع هذه الحالات بصورة مستمرة ومتحركة >>.[1]

أي أن الزمان يمثل حوصلة لحياة الإنسان منذ ولادته إلى وفاته، << فنحن نتحدث عن قصة حياة لنصف النواشج بين الميلاد والموت >>.[2]

يعني أن الزمن يمثل الكاميرا التي تصور لنا حياة الإنسان بتفاصيلها وحيثياتها بكل الأزمنة والعصور بما فيها من أحداث ووقائع.

ويظهر في مقطع آخر الزمن بصورة مختلفة، إذّ يصوره باعتباره يحمل مدلولاً عميقًا من الذكريات التي يعيشها الإنسان في حياته مع أصدقائه وأشخاص من بيئته ومجتمعه.

إذ يقول : << حينما أردتما أنت وعبه أن تستذكرا معه ما فاتكما من سنوات الغربة والصمت >>.[3]

في هذا السياق نجد السارد يصف لنا شعوره بالحنين إلى الماضي واسترجاع لذكرياته التي عاشها مع صديقه "عبه " و" داسي " و الرغبة في استعادة اللحظات الجميلة بحلوها ومرها، وما فاتهما من سنوات.

والملاحظ أن السارد يتحدث عن ليالي السهر والسمر ، التي كان يقضيها مع أصدقائه والحنين إلى تلك السهرات التي كانوا يقومون بها، التي تدوم إلى ساعات متأخرة من الليل.

والزمن هنا جاء للدلالة على الحياة التي كان يعشها " العربي " و أصدقائه " الطاهر" و"عبه ".

---

[1] سعدية أحمد مصطفى،البقاء والفناء في شعر أبي العتاهية، ص 72، نقلا عن، حسام الآلوسي، الزمان في الفكر الديني و الفلسفي القديم ، دار الفارس لنشر و التوزيع، بيروت، لبنان ، ط1، 2015 م، ص 70.

[2] ديفيد وورد، الوجود و الزمان و السرد فلسفة بول ريكور (تر : سعيد الغانمي)، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط 1، 1999 م، ص 39.

[3] علي دغمان ، بلا وجه أو رائحة، ص 69.

في هذا السياق السردي يتضح لنا أنه : << حين يرتد زمن الحدث السردي إلى الماضي، فإنه يتخذ صفتين: فالصفة الأولى: أن يكون استرجاعًا خارجيًا، و الصفة الثانية: أن يكون استرجاعًا داخليًا >>.[1]

نلاحظ في هذا الصدد أن للزمن السردي صفتين استرجاع خارجي واسترجاع داخلي حيث أن الاسترجاع الخارجي يخص الواقع، في حين أن الاسترجاع الداخلي يتعلق بالنفس.

و يكشف لنا السارد في موضع آخر علاقة الزمن بالحياة، ويتجلى ذلك من خلال حديثه فيقول:

<< عند حدود الساعة الرابعة مساء، جلست بمقهى عمي الجمعي العقون، بهدوء مغلف بالتوتر و القلق. فقد كنت متلهفا للنظر إلى وجه نوارة التي انقطعت أخبارها عنك منذ ثلاثة أيام..>>[2]

يبين لنا السارد في هذا السياق مدى التلازم الموجود بين الزمان و المكان، في س تي الأحداث في الحكاية.

وفي مقطع آخر نجده يعبر عن الزمان من خلال ربطه بالمكان للدلالة على الحياة ويمكن أن نوضح ذلك بالمثال الآتي:

<< الطاولة نفسها، والوقت نفسه، كل يوم، و طيلة الأسبوع، والشهر، وبقية السنة>>.[3]

في هذا المقطع وظف الروائي الكثير من العبارات الدالة على الزمن وهي (اليوم الأسبوع، السنة، والشهر).

---

[1] بشرى عبد الله ، جماليات الزمن في الرواية دراسة متخصصة في جماليات الزمن في الرواية الإماراتية، ص 105.

[2] علي دغمان ، بلا وجه أو رائحة ،ص111.

[3] المصدر نفسه: ص 187.

كلها تحمل معاني عميقة مرتبط ة بأنواع الزمن وتدخل في إطاره من ماضي وحاضر و مستقبل.

الراوي في الرواية حاول أن يشكل نوعًا من العلاقة بين الزمان والمكان و الشخصيات، وهذا لأن << بين الزمان و المكان علاقة وثيقة، فلا يمكن للشخصيات أن تتحرك و تنشئ زمنًا إلا في حيز مادي وهو المكان؛ إذ لا يمكن لها أن تتحرك في الفراغ >>.[1]

كما للزمن للدلالة على الحياة نجد له أيضا دلالة على الموت وهذا ما يتجلى في قول عقيلة:

<< توفي منذ خمسة أشهر>>. [2]

هنا حددت عقيلة مّدة وفاة أبيها، وهذا ما يحيلنا إلى القول أنّ للزمن علاقة وطيدة بثنائية (الحياة والموت) وهذه العلاقة لا تتغير مهما تغير هذا الزمن.

و يقول الروائي عن الزمن:

<< فكرت أثناءها كيف يسرقنا الزمن والمحنة عن أنفسنًا >>.[3]

شبه السارد الزمن في هذا المقطع بسارق الذي يجعل الإنسان ينسى نفسية، وذلك من خلال اهتمامه بالمشاكل التي تواجهه سواءٍ الاقتصادية منها أو الاجتماعية، ما يجعله ينسى أصدقائه وأهله؛ إذ يقضي وقته في البحث عن الحلول الممكنة للمحنة التي وقع فيها.

لذلك فالزمن << مهما وذا شأن مرتبطًا بآليات ضرورة الحياة وتحول الأشياء من حوله، وكلما كان المكان واسعًا لا يحده الحدود ولا تحكمه الدقة، كان الزمان فضفاضا لا

---

[1] بشرى عبد الله ،جماليات الزمن في الرواية دراسة متخصصة في جماليات الزمن في الرواية الإماراتية، ص 177.

[2] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص83.

[3] المصدر نفسه، ص 84.

يشعر الفرد فيه بمثل ما يشعر به ابن المدنية بسبب قلة أو انعدام الصرامة التي تحكم حياته و توجهها وفق ما تقتضيه ظروف الحياة وآليات تسارعها >>.[1]

إن الزمن ذا صلة وثيقة بالحياة، فهو الذي يحرك الوجود و يجعله في استمرارية دائمة في الماضي والحاضر و المستقبل.

<< لقد كان الزمن في القديم مرتبطًا في حياة الناس بالمعتقدات الدينية والمسلمات الروحية، فكان الإنسان يقف عاجزا أمام الحياة والموت >>. [2]

فالزمن بذلك يدخل في حياة الإنسان القديم أو الحديث في كل تصوراته و معتقداته وكل ما يتعلق بحياته أو موته فالزمن هو الذي يرصد كل ما يتعلق به.

فالروائي يرصد لنا الزمن من خلال ذكره لثورة ال تحريرية، فهو يدور بالزمن ليعود بنا إلى وقت الاستعمار الفرنسي فيقول:

وقوله: << نظرا لمهنته في زمن الثورة>>.[3]

يتجلى لنا الزمن الذي يحمل دلالة تاريخية على زمن الثورة و الاستعمار، و وقت الكفاح و النضال ضد المستعمر، زمن سادت فيه حياة مليئة بالظلم و الاضطهاد والموت والتعّسف الذي كان يعيشه الشعب الجزائري جراء الاستعمار الفرنسي الغاشم.

وفي مقطع آخر يحاول الروائي استذكار الأحداث الماضية بما تحمله من (سلم /حرب) وعادات فيقول:

---

[1] باديس فوغالي ، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إربد، الأردن، ط1 ، 1429هـ-2008 م ص50.

[2] المرجع نفسه، ص51.

[3] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص125.

<< و آخرون يرتدون أكاليل الغار و الزيتون الذهبي في زمن السلم، ويرتدون خوذا أشبه برأس حصان في زمن الحرب >>.[1]

يذكر الروائي في هذا السياق ثنائية تحمل دلالة على الزمن ألا وهي (السلم /الحرب) وهي مرتبطة بثنائية (الحياة والموت)، وهذا يجعلنا نرى أن الزمن هو الرابط الذي يربط بين هذه الثنائيات.

ومن خلال حديثنا عن الزمن نستذكر قول الحق عزوجل:﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾.[2]

وجاءت كلمة" الدهر" هنا للدلالة على الزمان<< أي ما يفنينا أو يمتنا إلا مُّر الأيام والليالي، فهم بذلك يكذبون بالبعث ويجحدون يوم الحساب >>.[3]

يحمل الزمان في القرآن الكريم دلالات على الحياة والموت، و البعث والحساب.

لذلك وردت كلمة " الزمان" في القرآن الكريم مرتين المرة الأولى بمعنى الزمن و المرة الثانية بمعنى الديمومة.

وهذا ما يظهر في قوله تعالى:

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ ﴾.[4]

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 88.

[2] سورة الجاثية، الآية 24.

[3] أمير عبد العزيز ، التفسير الشامل للقرآن الكريم، ج 6، ص 3100.

[4] سورة الإنسان، الآية 1.

<< أي نعم أتى، والمراد بالإنسان هنا آدم عليه السلام و (حين من الدهر) فقد قيل: أربعون سنة >>.[1]

في هذا السياق القرآني نجد أن الله سبحانه وتعالى ذكر الزمن وأراد من خلال ذكره أن يذكر الإنسان انه مهما عاش ستكون نهايته الموت.

وكخلاصة لما تناولنه سابقًا عن الزمن نستخلص أن للزمن علاقة وطيدة بالإنسان منذ نشأته إلى غاية موته فهو محصّلة لما عاشه من ماضي و حاضر ومستقبل ، وهذا ما يحيلنا إلى القول: أن الزمن يحمل دلالة على ثنائية (الحياة /الموت) ويجّسدها بكل ما فيها من معنى، والكاتب من خلال توظيفه لكلمة الزمن وربطها بهذه الثنائية أراد أن يبين للقارئ مدى صلة الزمن بهذه الجدلية.

2/ ثنائية الحياة والموت وعلاقتها بالمكان:

_ المكان: في الصورة الفنية << المكان هو المكان الأليف. وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة. أنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة >>.[2]

يكسف لنا هذا السياق أن المكان هو المسكن الذي يسكن فيه الإنسان و يعيش حياته منذ الولادة إلى غاية وفاته.

ويظهر المكان في الرواية وهو يمثل الرابط الذي يجمع بين الثنائية (الحياة /الموت)، و الفرح والحزن، حيث نجد أن كل هذه الأمكنة التي ذكرها السارد في الرواية تدل على الحياة والموت، التي منها(المستشفى، المقبرة).

---

[1] أمير عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم، ج 6، ص3100.

[2] غاستون باشلار ، تر:(غالب هلسا) ،جماليات المكان، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان ، ط2 ، 1404 هـ- 1984 م، ص6 .

كما أن للمكان بعد دلالي استعراضي، حيث أن المكان يعرض لنا الأحداث، و المكان نوعان المغلق و المفتوح، و المكان في رواية "بلا وجه أو رائحة " يحمل دلالات كثيرة منها دلالة على الحياة والموت ، و من هذه الأمكنة نبدأ بالأماكن المعلقة،التي << نقصد بها الأماكن التي تقيم فيها الشخصيات ردحا من الزمن و تنشأ بينهما جدلية قائمة على التأثير وهذه الأماكن تعكس قيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية للإفراد الذين يقطنون تحت سقوفها >>.[1]

يعني أن المكان يمثل المقر الذي يعيش فيه الإنسان حياته بكل تفاصيلها الجميلة و السيئة.

ومن الأماكن المفتوحة نجد أيضا :

1/المستشفى:

يّعد المستشفى من الأمكنة المفتوحة التي يقصدها الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية للعلاج باعتباره مكان يرمز للحياة و الموت معًا والإنسان بصفة عامة يقصده وهو يتوزعه مصيران إما الحياة أو الموت ، وهذا ما يتجلى في المقطع الأتي :

<< فتحت عينيك فوجدت نفسك على السرير ، بالاستعجالات الطبية لمستشفى مصطفى باشا>>.[2]

هنا من خلال هذا المقطع يجسد لنا السارد الحالة التي كان عليها وهو في المستشفى، إذ انه بعد ما كان في صراع مع الموت عاد إلى الحياة.

ذكر السارد المستشفى في موضع آخر حيث يقول :

---

[1] سعيد حوارنية ، جماليات المكان في قصص ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ، د ط، 2011 م ص 58.

[2] علي دغمان ، بلا وجه أو رائحة ،ص8.

<< صفق النقيب الطاهر العسكري، الذي يرقد في مستشفى عين النعجة اثر تعرضه لمحاولة اغتيال ثالثة>>.[1]

هنا يصور لنا السارد طبيعة الحالة الصحية لصديقه " الطاهر" الذي تعرض للاغتيال من إخوانه من الشعب الجزائري في فترة العشرية السوداء.

3 /الزقاق:

يّعد الزقاق من الأمكنة الشعبية الضيقة التي يّمر عليها الناس لقضاء حاجاتهم اليومية وفي الرواية ورد ذكر الزقاق من طرف السارد الذي قام بربطه بثنائية (الموت والحياة).

إذ يقول:

<< شيعت الجنازة حتى غابت بالزقاق، أحسست بالضيق، وشعور المحاصر داخل زجاجة >>.[2]

صور لنا السارد ما يختلجه من شعور بالضيق عند رؤيته للجنازة وهي تسير في الزقاق وبذلك رصد لنا أجواء الرمادية التي توحي بالحزن و الألم و الفجيعة.

وفي مقطع آخر نجده يقول :

<< و أنت بالموقف تنتظر و صول الحافلة، شدك مشهد جنازة تتقدم بالزقاق . سيارة تحمل نعشًا، تسير ببطء، تتبعها مجموعة من الخطى المرتبكة، يرين على وجوه ها قناع الصمت والحزن الصفيقين..>>.[3]

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 15.

[2] المصدر نفسه، ص33.

[3] المصدر نفسه،ص 30.

هنا يتضح لنا أن السارد وصف الزقاق باعتبار مكانا، يرمز للموت والحياة في نفس الوقت، وذلك لما يحمله من معالم الحياة من (السيارة، خطى المرتبكة) ومعالم الموت من (مشهد جنازة) كل هذه العبارات توحي بثنائية (الحياة و الموت).

4/ الوطن:

يعتبر الوطن من الأم اكن التي تجمع بين عدد كبير من البشر، من مختلف الأجناس و الأعراف والطبقات والثقافات، باعتباره رقعة جغرافية واسعة يعيش فيها الكثير من الناس، الوطن من بين الأمكنة التي ركز عليها الروائي كثيرا لينقل لنا بواسطته ثنائية (الحياة و الموت) السائدة فيه.

فيقول :

<< ورحت تفكر في أسباب هذه المحنة، ليس في الأسباب التي أودت بأصدقائك وحدهم، ولا بأبناء الوطن، إنما المحنة في جوهرها، المحنة التي أودت بالوطن، و أصبح من خلالها يعرف بوطن الموت >>.[1]

قام الراوي بنقل حقيقة الوطن الذي كان يعيش فيه، من خلال حديث عن المحنة التي أصابته هو و أصدقائه، وتجسده للحياة التي كانوا يعيشونها، كما وربط الموت بالوطن باعتباره مكانا يحمل دلالة على قتلى الذين راحوا ضحايا بسبب الغدر والخيانة و الظلم السائد فيه.

وفي هذا الخصوص نجده يقول :

<< صارت الخيانة إرثا مشاعا بهذا الوطن...>>.[2]

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 195.

[2] المصدر نفسه، ص64.

يبّين لنا الراوي مدى انتشار الخيانة في أوساط المجتمع الجزائري الذي ساد فيه القتل بين أفراده بسبب الحقد و الكره المنتشر بينهم، وبذلك يصبح الوطن هنا رمزًا للخيانة و القتل والظلم.

وقوله: << وخيانة الاثنين لقضيتهما، بعد أن استبد بهما الجشع و الحقد، ودفع بهما نحو التأله بدل الدفاع عن الوطن، فقد استسلم كليهما و مات الأول مسموما في إقامته الجبرية، فيما توفي الثاني مغتربا ومغمورا >>.[1]

يوضّح الراوي في هذا المقطع موقفه من أفراد الشعب الجزائري الذين خانوا وطنهم بدلا من الدفاع عنه وحمايته من كل الاعتداءات.

و<< الإيمان العميق بأنّ الإقدام على الموت استشهادًا و فداءً هو الخطوة العملية التي بإمكانها أن تعيد الحق المسلوب ، و بأن لا سبيل للردّ على الظالمين و المغتصبين إلا بهذه الأعمال البطولية التي يؤسسها الشهداء>>.[2]

يكشف لنا هذا السياق على ضرورة الحفاظ على الوطن و استقلاله بتضحية و استشهاد في سبيل تحريره من كل مغتصب وظالم.

وفي مقطع آخر يتساءل عن سبب هروب الشعب الجزائري عن وطنه فيقول:

<< ولم أفهم يوم سر هروب الشعب منك، وأنت الرحم، وأنت الظئر، يهربون إلى أي مكان، حتى أنهم يفضلون الموت بعيدا على أن يدفنوا في أحضانك >> .[3]

يتبين لنا في هذا المقطع سخرية وتعجب الكاتب واستفهامه عن تفضيل الشباب الجزائري الابتعاد عن وطنه ورفضه الحياة والموت فيه.

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة،ص 196.

[2] عبد السلام المساوي، جماليات الموت في شعر محمود دروش، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2009 م، ص16.

[3] علي دغمان ، بلا وجه أو رائحة، ص 206.

يصور الراوي لنا مدى معاناة الشعب الجزائري في وطنه سبب كونه مكانًا يرمز للموت والحياة المليئة بالخيانة و الظلم و الاستبداد.

وفي موقف آخر نجده يرى بأن الصبر و الزمن هما العاملان الرّئيسيان اللذان يجعلان الحياة في الجزائر ممكنة.

فيقول:<< تتفق مرجعياتنا على أن الزمن والصبر عاملان صحيان في حياة الوطن >>.[1]

كأنه يذكر الأسباب التي تجعل الفرد الجزائري يعيش في وطنه، ألا وهما الزمن و الصبر على الشدائد و المحن.

5/ المقبرة:

المقبرة هي جمع لكلمة << قبر المّعد في أضيق فسحة مكانية ممكنة >>.[2]

و تعّد من الأمكنة التي يذهب إليها عامة الناس لزيارة موتهم، وه ي من الأمكنة المفتوحة التي تحمل دلالة على الحزن و الأسى و الاكتئاب.

و الروائي تحدث عن المقبرة باعتبارها مكانًا يرمز للموت فيقول:

<< وقفت في المقبرة واجما >>. [3]

يجّسد لنا الروائي الحالة التي كان عليها في المقبرة إذ كان يتذكر ذكرياته مع صديقه "عبه"، وهو يتأمله للمرة الأخيرة و يودعه.

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 207.

[2] محمد صابر عبيد، سيمياء الموت و تأويل الرؤيا الشعرية ، دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع، دمشق ، سورية د ط، 2010م، ص 106.

[3] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة ، ص 176.

و كذلك ليبين لنا مدى صراعه مع الحياة و أحزانها و آلامها، و الموت و ما يحمله من دلالة عميقة على الفقدان و الخسارة لأحبة إذ يقول:

<< تنظر إلى جثمان عبه و هو يدس في القبر كشملة رثة >>.[1]

يظهر لنا أجواء الحزن التي عايشها " العربي " من خلال حضوره لجنازة صديقه "عبه" ويصور لنا مدى قسوة الحياة التي تأخذ منا أعز الأصدقاء.

وفي مقطع آخر يذكر المقبرة فيقول :

<< حتى إنه وضع في قبره، وغطي بالتراب، و قرأت عليه الفاتحة في ظرف قياسي>>.[2]

ينقل لنا الروائي رؤيته للحياة و هو يفارق صديقه "عبه"، حيث أنه يرى الحياة فارغة من معاني البهجة والسرور، بعد موته، و كيفية قراءتهم الفاتحة عليه في ظرف قياسي وانصرافهم بعجالة.

7 / الصالون:

وهو من الأمكنة المغلقة التي يتجمع فيها الناس لتبادل أطراف الحديث، وإزالة الهموم ووحشة الفراق و استرجاع الذكريات الحلوة منها و المرة.

وهذا ما يظهر في قول الراوي:

<< هكذا يشيع اسم هذا الصالون بين المتحابين، من الذين جمعت بينهم عاطفة الحب، رغم أجواء الموت و الألم و الفجيعة، التي شكلت مع الوقت طبقات من الأبواب

---

[1] علي دغمان، بلا وجه أو رائحة، ص 176.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

والجدران الرمادية الباردة أين يجتمعون خلسة نحو الساعة أو نصفها، فيسرقون بعض اللحظات الدافئة من شغف الحلم، بمنأى عن العيون، والموت >>.[1]

من خلال الأوصاف التي أعطاها الروائي للصالون يتضح أنه مكان يجتمع فيه أحبة لإزالة الاشتياق، وللسرقة بعض اللحظات الجميلة و الدافئة و المليئة باللهفة والبهجة، رغم الأوضاع السيئة و المنتشرة في المجتمع الجزائري في ذلك الوقت من قتل وحزن ومعاناة.

7/ الغرفة:

تعّ الغرفة: << عادة مكان يرمز إلى الحياة الداخلية الحميمة و الحماية من العدوان الخارجي >>.[2]

والغرفة في الرواية وظفها الروائي هذا المقطع السردي الحكائي ليعبر عن فكرة الموت وهذا ما يتجلى في قول الروائي:

<< فكل شيء يغرق في فراغ العتمة و الحنين، و كل شي ء يثير فكرة الموت و أنت تقبع في الغرفة وحيدا، وجلا ومتكسرا >>.[3]

هذا المكان المتمثل في الغرفة يجسّده السارد بصورة مأساوية تحمل الكثير من معاني الحزن و الغربة، فهو يرى بأن الغرفة مكان يوحي بفكرة الموت، لأنه يذكره بوفاة ج ده، وبذلك تكون الغرفة مكان يرمز للموت والحياة معاً.

---

[1] علي دغمان ، بلا وجه أو رائحة، ص73.

[2] سعيد حوارنية ، جماليات المكان في قصص ، ص 60 . نقلا عن، سامة أسعد، مفهوم المكان في المسرح المعاصر مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 4 ، مج15 ، 1985 م ، ص1015.

[3] علي دغمان ، بلا وجه أو رائحة، ص 25.

و الخلاصة التي نتوصل إليها من خلال هذا الفصل أن للشخصية دورا هاماً في الرواية و تسيير الأحداث السردية في النص الروائي، و أن علاقة الراوي بالشخصيات تبنى على أساليب مختلفة، بعضها تتصل بالبناء الزماني والمكاني في الرواية.

ومن خلال الرواية نجد وصف للشخصيات الواقعية و أحداثا متنوعة لها علاقة بثنائية الحياة والموت.

كما يمكن القول في هذا الخصوص أن الروائي استطاع أن يوصل رأيه للقارئ من خلال تجسده للأوضاع التي عايشها الشعب الجزائري في فترة العشرية السوداء، بهدف التأثير فيه وإقناعه بضرورة الحفاظ على وطنه بشتى الوسائل الممكنة.

الخاتمة

وفي الأخير توصلت من هذه الدراسة إلى النتائج الآتية :

1- إنَّ قضية الحياة والموت من بين القضايا التي شغلت تفكير الإنسان قديمًا وحديثًا.

2- إنَّ ظاهرة الحياة و الموت من الظواهر البارزة في الرواية، و تجسدُ خشية الكاتب من حَّدة الدمار والاندثار الذي يصيب المجتمع الجزائري بسبب الأوضاع السائد فيه.

3- لثنائية الحياة و الموت قوانين تحكمها، ونحن لا نعلم من هذه القوانين إلا ما أخبرنا الله سبحانه وتعالى به.

4- رسم لنا الروائي جدلية الحياة و الموت في شكل صراع الإنسان مع الإنسان، وصراع الإنسان مع الأوضاع السائدة في المجتمع الجزائري.

5- أبرز لنا الراوي من خلال روايته ملامح الحياة والموت، وذلك بإسقاط هذه الثنائية على الشخصيات.

6- أما فيما يخص الزمان فقد رأى فيه الروائي بأنه هو الذي يسرق الإنسان من أهله ويجعله دائما في مواجهة حتمية الموت ومحاولة البقاء على قيد الحياة.

7- أما رؤية الروائي لفترة العشرية السوداء فهي نظرة تشاؤمية مليئة بالنفور، وذلك بسبب ما حدث فيها من قتل و ترهيب واعتداءات على الشعب الجزائري.

8- عودة الروائي من خلال روايته إلى زمن الاستعمار الفرنسي.

9- وصف الروائي في روايته الشخصيات الروائية وصفًا خارجيًا و داخليًا و ربطها بقضية الحياة والموت.

10- تمثل الشخصيات الروائية في الرواية الركيزة الأساسية المسيرة للوقائع العمل السردي.

11- إنّ للشخصية " العربي" أهميةُ و دورًا فعالاً في العمل الروائي، وذلك لأنها ساهمت في سرد الأحداث، ونقل الوقائع.

12- يمثل الزمان العجلة المحركة لنص الرواية، وذلك لما يتميز به من أبعاد الماضي والحاضر و المستقبل، ويمثل دلالة على الوجود الإنساني منذ ولادته إلى وفاته.

13- للمكان في الرواية بعدّ استعراضي، وذلك من خلال عرضه للوقائع و الأحداث التي عايشها الفرد الجزائري في واقع مليء بالظلم و التعسف و القتل.

14- أبرز لنا الراوي من خلال روايته المكان و العلاقة الموجودة بينه وبين ثنائية الحياة و الموت بذكره لمجموعة من الأماكن الدالة على ذلك منها(المقبرة، المستشفى).

ونلاحظ في الأخير أن الروائي يصور في روايته تجربته مع الحياة و الموت، إذن فالرواية مرآة عاكسة للواقع الجزائري بما فيه من معاناة و ظلم و ستبداد و اضطهاد.